

سكارت

وقصص أخرى

عمر كمال الدين



ليبنت للنشر
والتوزيع

عمر كمال الدين
سكارلت

رقم الإيداع / ٥٧٢٨ / ٢٠١٤ ط١

الترقيم الدولي / ٦ - ٦٩ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

غلاف / سارة سليمان

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

لليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

هيئة تحرير ومراجعة

د/ سالم ابراهيم سالم

أ / رشا زقيرق

أ/ محمود السيد

المراسلات : ٦٠ ش سكنية بنت الحسين

كفر عبده - الإسكندرية

ت : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧

: ٠١١٤٤٥٩٥٧٥٧

Dar.lilite@gmail.com

lilitepublishing@gmail.com

www.lilithpublishinghouse.com

إهداء

إلي والدي رَحِمَهُ الله ..أول من وضع في يديّ كتاباً..و شجعني علي
القراءة..

تمنيتُ أن يكون بجانبني يراني أجني ثمارَ ما زرعه..
و يقرأ أول ما كتبت ..

شكر

إلى الله

شكر خاص

لأمي، أشقائي و شقيقاتي..بالأخص سمر
إلي أصدقائي الذين شجعوني لكي يخرج هذا العمل الي النور
ريما الكردي، شهد نزار، دينا سمير، ممدوح بدر
و إلي أخي الروحي هاني يعقوب

« أفضل طريقة لنسيان امرأة، هي تحويلها إلى قطعة أدبية »

هنري ميلر

تياترو

في الستينيات، بالتحديد في عام ١٩٦٣م، في وسط البلد، في أحد شوارع القاهرة الواسعة التي تتسم بالهدوء و الرُقي، وبالتحديد شارع فؤاد الذي سمي فيما بعد بإسم شارع يوليو، كانت أحداث هذه الحكاية.

و ما بين الأوبرا و فخامتها، وما يُحيط بها من حدائق غناء، و ما يتناثر حولها من محلات الذهب و المفروشات الأنيقة و غيرها من المحلات الأخرى، يتوسط الشارع ذلك المبنى واقفاً بكل عظمة و شموخ، شاهداً علي التاريخ، رمزاً للأصالة و الإبداع، تعلوه تلك اللافتة المكتوبة بخط عربي قديم ” تياترو حديقة الأربكية“، أو كما يُسميه البعض اختصاراً ”تياترو“.

في الساعات الأولى من الظهيرة دلف إلي المكان شاب قمحي اللون ذو ملامح هادئة يرتدي بدلة بنية اللون مصففاً شعره مثل عبد الحليم، كما اعتاد أبناء جيله أن يفعلوا، من بدلة و ”تسريحة الشعر“ و ما إلي ذلك من أشياء، وقف أمام أفيشات الأفلام و المسرحيات المعلقة علي الحوائط حائراً.

ظل كذلك لدقيقةٍ كاملةٍ قبل أن يتجه إلي ” شباك التذاكر“ في خطوات هادئة، و لكنه لم يجد أحداً به، حاول أن يسترق النظر إلى ما داخل الشباك، و لكنّ الضوء لم يكن كافياً لجعله يري أي شيء، وقع بصره علي جرس صغير ذهبي اللون من تلك الأجراس التي توضع في شبابيك استقبال تلك الأماكن من سينات و مسارح و فنادق، ضغط علي الجرس مرتين ثم انتظر، و لم يأت أحدٌ، ضغط مرة أخرى ثم إستند بساعده علي حافة الشباك ناظراً إلي الشارع في شروء.

• آسفة، لقد استلمتُ نوبتي للتو و كنت أرتدي زي العمل الرسمي..آسفة.

حرك رأسه ناحية شباك التذاكر من حيثُ أتى الصوت و وقع بصره عليها، كانت فتاة ذات بشرة برونزية فاتحة و عينين بُنيتين واسعتين كأنّني الغزال، وأنف دقيق و شفّتين مرسومتين بدقة تزين أعلاهما تلك الشامة الصغيرة ، وأسفلهما طابع حسنٍ رقيق، ينسدل شعرها الأسود الفاحم علي كتفها ليزيدها أنوثة و رقة، ظلّ محدقاً بها حتي أخرجته من صمته.

• سيدي، هل سمعني ؟ أخبرتك أنني آسفة، إستلمتُ للتو..

• نعم نعم، آسف، لقد شردتُ للحظاتٍ، لا عليكِ.

قالها و هو يحاول أن يُحرك ناظريه المثبتين عليها في فجّل، إبتسمت في رقة قائلة :

- حسنأً، كيف أأءمك ؟
- آه، أريدُ ءذكرةً لفيلمفيلم..!
- كان في ءيرةٍ ءقيقيةً، نسيَ ءمأمًا ما الفيلم الذي أراء ءخوله قبل أن يراها
- لا ءقلق، سأساعدك، رابعة ؟ أميرة العرب ؟ البابُ المفتوح ؟
- قالتها و مازالت ءلك الابهسامة الرقيقة مُرسمة علي ملاحها
- إءسعء عيناؤه في زهوٍ كمَن وءء كنزاً للءوئُم قال هاءًفأ :
- نعم نعم، أميرة العرب، هذا هو!
- إبهسءمء له وهي ءقطع ءءذكرة قاءلة :
- شِلن
- ها ؟
- قالها و هو مءءقأً في عيناها غير مسءوعب ما ءقوله.
- شِلن، سعر ءءذكرة شِلن
- آه، فهمء، حسنأً
- أءرج شِلنًا ورقيا من ءيبه و أعطاه لها و ءناول ءءذكرة من يءها
- شكرًا.

كَادَ أَنْ يَمِضِيَ وَ لَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُطِيلَ الْحَدِيثَ مَعَهَا بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ فَتَوَقَّفَ
لِلْحِظَاتِ ثُمَّ سَأَلَهَا :

• وَ لَكِنْ مَا هُوَ مِيعَادُ الْعَرْضِ الْقَادِمِ ؟

نَظَرَتْ فِي سَاعَتِهَا قَائِلَةً :

• بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ مِنَ الْآنِ، فِي الثَّالِثَةِ تَمَامًا .

• فِي أَيَّةِ قَاعَةٍ ؟

• الْقَاعَةُ الْأُولَى .

• مَمِّمٌ، حَسَنًا، مُتَشَكِّرٌ جَدًّا .

قَالَهَا وَ انْصَرَفَ بَعْدَ أَنْ نَفِذَتْ مِنْهُ الْحُجْجَ وَ الْأَسْئَلَةَ .

إِتْجَهَ إِلَى الْقَاعَةِ، وَ لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ حَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ تَجَاهَهَا، حَيْثُ
رَأَاهَا تَدَاعَبَ شَعْرُهَا فِي دَلَالٍ وَ هِيَ تَكْتُبُ شَيْئًا فِي دَفْتَرٍ أَمَامَهَا .

رَأَاهَا وَ دَلَفَ إِلَى الْقَاعَةِ مُنْتَبِهًا لِتَوُّهُ أَنَّهُ قَدْ اخْتَارَ الْفِيلِمَ الْخَاطِئَ فَبِئْسَ وَ
هُوَ يَخْبِطُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ ضَاحِكًا

• يَا لَكَ مِنْ أَبْلِهِ يَا سَرَّاجَ ... !

بَعْدَ نِهَآيَةِ الْعَرْضِ، إِتْجَهَ سَرَّاجٌ مُسْرِعًا إِلَى خَارِجِ الْقَاعَةِ وَ لَكِنَّهُ سُرْعَانَ
مَا أَبْطَأَ مِنْ مَشِيَّتِهِ حِينَمَا وَقَعَ بِصَرِّهِ عَلَيْهَا، كَانَتْ تَقْفُ فِي الشَّبَاكِ مِنْهُمْ كَةً

في قطع التذاكر للأشخاص الوافدين علي السينما و المسرح، ودّعها بنظراته
ثُمَّ مضي مغادرًا و هو يبتسم و ذلك البريق يتلأأ في عينيه، منبئًا عن
إحساس بدأ ينمو في قلبه تجاهها.

بعد أسبوعٍ عاد سراج من جديد إلي المكان، إلي تياترو، في نفس الوقت،
توقف خارج المبنى ثم مسح مقدمة حذائه بأسفل بنطاله، ربت على
شعره و عدل من هندامه و دلف الي المكان في هدوءٍ و هيبةٍ مُصطنعتين
، لم ينظر هذه المرة الي ”أفيشات“ الأفلام و إنما اتجه الي شباك التذاكر
علي الفور، إليها، كانت تقفُ هناك مستندةً إلي الشباك، واضعةً يدها علي
خديها نازرة إلي السقف في شروذ، وصل إلي الشباك فإنتبهت له معتدلة
في مكانها، ثم إبتسمت له قائلة :

• مرحباً، كيف أخدمُك ؟

• مرحباً، أريدُ تذكرةً لفيلم الباب المفتوح.

ردّت عليه بضحكة ساحرة :

• أنت تتذكرُ هذه المرة !

إبتسم في نجل ثم هرش رأسه قائلاً :

• نعيش و نَتعلّم ..!

• هذا صحيح ..إليك التذكرة ..شِلن ..

أعطاهَا شِلنًا ورقيًا قائلًا :

• شكرًا، كنتُ أود أن أعرف متى سي..

• في الثالثة تمامًا، بعد نصف ساعة من الآن.

قالتها مقاطعة إياه مرتسمةً في عينيها نظرة مأكرة، و كأنما قد سبّرت للتو غوره و عرفت ما يحاول أن يفعله من ماطلةٍ كي يُطيل الحديث معها.

كاد أن يفتح فمه من جديد لسؤالها فقاطعتهُ ..

• القاعة الثانية..

قالتها بنفسِ النظرة المأكرة و هي تسندُ خدّها الي يدها في دلال.

إمتزجت ملامحهُ بين الخجلِ و السرورِ ثُمَّ نظر إليها قائلًا :

• حسنًا، مُتشكر جدًّا.

• العفو.

تركها و غادرَ مُتجهًا إلى القاعة، و مِن جديدٍ حانت منه التفاتةٌ تجاهها و لكنّه وجدها تنظرُ له بنفسِ النظرة المأكرة و هي مازالت سائدة خدّها الي يدها بما جعلهُ يدير وجههُ في ارتباكٍ دالفا الي القاعة في سرعة .

• يا إلهي ..لقد كَشَفْتُ أُمري، إنها تعرف الآن قطعاً ! و الآن

سأستلم جائزة أكثر سُكَّان القاهرة بل سُكَّان الأرض بلاهةً،
سأحاول أن أٌصحح هذا الوضع قليلا حينما أخرج.

بعدَ إنتهاء عرض الفيلم خرجَ سراج مُتجهاً الى خارجِ القاعة و منها الى خارجِ المبني في خطوات سريعة، محاولاً ألا ينظرَ إليها، وصلَ إلي خارجِ المبني، إحساسه يقتله، يريد أن يعود ليراها ولو للحظة، و لكنه تحاملَ علي نفسه و مضى مغادراً في خطواتٍ سريعة.

بعدَ أسبوعٍ عاد من جديدٍ في نفس ميعاده المعهود، ودلفَ إلي المكان مُتجهاً إلي شباك التذاكر راسماً علي ملامحه جديَّة مُصطنعةً، كان شباك التذاكر فارغاً، فضغط علي الجرس مرتين، تهادي إلي مسامعه صوتُ وقع أقدام أنثوية، حتي ظهرت صاحبتها، و لكن لم تكن هي، كانت فتاة أخرى، إستبدَ به القلق و عقدَ حاجبيه في ضيق.

• مرحبا، كيف أخدمُك ؟

قالتها الفتاة بكلِ برود.

• ممم ..أريدُ تذكرة

• أي فيلم ؟

مرت لحظات و هو يفكرُ في شروءِ فقاطعتهُ قائلةً :

- يا أستاذ ! أي فيلم ؟
- آه..الساحرة الصغيرة.
- خمسة قروش!
- أعطاهما النقود و تناولَ التذكرة في بطءٍ ثُمَّ مضي مُغادراً إلى القاعة، و لكنَّهُ
سُرْعانَ ما توقَّفَ عائداً إلى شباك التذاكر.
- لو سمحتِ..كانت هناك فتاة تقفُ في الشباكِ بدلاً مِنْكَ و...
- آه، إستبدلتُ وريدي الصباحية معها..أتريدُ شيئاً مِنْها ؟
- قالتها في تأففٍ شديدٍ.
- لا، شكراً.
- إستدار مُتنبِّهاً في إرتياح و السرور يرتسمُ علي ملامحه، دلفَ الي القاعة و
جلس يُقلِّبُ الأفكار في عقله
- كيفَ أصبحتُ مُدمنًا لرؤياها ! كيفَ إستبدلَ بي القلق لهذه
الدرجة عندما لم أرها..كيف !!
- قاطعَ افكاره صوت بداية العرض فخرجَ من شروده ناظرًا الي الشاشة في
شروءٍ جديد.
- لم يستطع سراج أن ينتظر حتَّى الأسبوعِ التالي، فعادَ في اليوم التالي، في

الثامنة و النصف صباحاً بالتّام كان يقفُ أمام تياترو، دلف إلى الداخل و نبضات قلبه تتسارع، إتجه الى شباك التذاكر في سرعه و لكنه وجدهُ فارغاً، زفر في ضيقٍ ثمّ مدّ يده ناحية الجرس في بطءٍ، و كاد أن يضربه و لكنه سمع وقع أقدام أنثوية تقترب من داخل غرفة الشباك، بلغ ريقه في صعوبة و قلبه يكاد يتوقف منتظراً وجه تلك القادمة هذه المرة، و كانت هي بعينها، بشفتيها، بطابع حُسنها، بإبتسامتها المعهودة، شعر أنّ قلبه يُصرخ مهلاً داخل صدره و أنّ كلّ خلاياه قد أعلنت الاحتفال فرحاً لرؤيتها من جديد، حاول الحفاظ علي رباطة جأشه أمامها و لكنّ خذلته ملامح وجهه، فإبتسم إبتسامة عريضة و لمعت عيناه في سرورٍ كبير.

• مرحبا، أليس الوقت مبكراً؟

كان سؤالها مفاجئاً بالنسبة اليه خاصةً مع إبتسامتها الماكرة تلك، ما جعلهُ يرتبك محققاً إليها في صمت ثمّ هرش رأسه قائلاً :

• لقد تمّ الغاء المُحاضرات اليوم و وجدتُ أن الوقت مازال مبكراً للعودة للبيت لذا قررتُ المَجيء.

• آه..حسناً، كيف أخدمك ؟

• تذكرة لفيلم ...فيلم....!

• نسيت من جديد ؟ سأُساعدك.

لنر..لقد دخلت أميرة العرب و الساحرة الصغيرة، ماذا عن رابعة و الباب

المفتوح ؟

أنا أُرشدُ لك الباب المفتوح ..فياهم رائع !

قالتها في حماسٍ مُصطنع وفهم هو أتمها عرفت بوجوده هنا بالأمس و سؤاله عنها، و برغم حُبِّها لم يشأ أن يكسِفها.

• حسنأ، أعطني تذكرة للباب المفتوح، و إليك النقود.

تناول منها التذكرة و نظرَ إليها في غضب رقيق قائلاً :

• شكرأ، القاعة الأولى، صحيح ؟

قالها بطريقة ذات مغزي فأشارت له برأسها ناظرةً له في مكر، دلفَ الي القاعة و تحاشي الالتفات إليها قبل أن يدخُل، جلسَ إلي مقعده ملتفتاً إلي ما حوله من أشخاص، كان أغلبهم من فئة العشاق الصغار الهاربين من مدارسهم، سارقين من القدر لحظات عشقٍ مؤقتة، ظانين أن ذلك الحلم سيدوم بهم للأبد، وجدَ نفسه الشخص الوحيد الذي جاء بمفرده وهو أيضاً أكبر الأشخاص سنأ بين الموجودين، حاول أن يدفن نفسه داخل ذلك المقعد و أن يتحاشي نظرات الجميع، و أنقذه بداية العرض و إنطفاء الأنوار في القاعة، وبعدَ إنتهاء العرض خرج من القاعة مُلقياً بصره علي الشباك و لكن لم يجدها، حاول التباطؤ في مشيته متظاهراً بمشاهدته " أفيشات " الأفلام المعروضة، ظلَّ علي تلك الحالٍ لدقائق و لكنَّها لم تظهر فغادرَ المبني مصحوباً بخيبة أملٍ هائلة لا مثيل لها.

مرأسبوع..وعاد سراج مُجدداً..في الثامنة و النصف صباحاً كالمرة السابقة،
هَمَّ بدخول المبنى و لكنه توقف، كَانَ في صراعٍ حقيقي مع أفكاره التي تختلج
في نفسه، وماذا بعد يا سراج ؟ تأتي مرة تلو المرة، تراها، تبتسم كالأبله ثُمَّ..
تشتري تذكرة لفيلم لا تُحبه و بالكاد تعرف أبطاله تشاهده قسراً ثم تغادر !
ماهذا الجنون ! لابد أن تتواصل معها، أن تُجري معها حديثاً بأي شكلٍ
من الأشكال، و لكن ماذا لو، ماذا لو أخرجتك يا سراج ؟! ستخسرهما
للأبد، يجب أن أجد طريقةً ما، مدخلاً الي قلبها، جلسَ إلى عتبة التياترو
يُفكر شاردًا في السماء، ظلَّ علي تلك الحال لدقائق يعتصرُ عقله بحثاً عن
الأفكار، و لكن بلا فائدة، كَانَ يهَمُّ بالنهوض حينما مرت سيدة عجوز و
مالت عليه واضعةً عملةً معدنية في يده.

• الله يسهل لك يابني !

فتح سراج عينيه في ذهول ناقلًا بصره بين العملة التي في يده و بين السيدة
التي مضت في طريقها.

• وجدُّها !

نهض واقفاً ثُمَّ أَخَذَ يهرول كالمجازيب في الشارع متوقفاً أمام كل من يمر
طارحاً نفس السؤال :

• هل معك قلم ؟

و في كل مرة تكون الإجابة بلا ..

قاربت الساعة علي التاسعة و مازال يبحث عن قلم مع أحد المارة.
كان علي شفير اليأس حينما وقع بصره علي واحد من أولئك الطلبة الهاربين
من مدرسته.

• لو سمحت، هل لديك قلم ؟

• نعم بالطبع و لكن ..

• سأستعيره لثوانٍ و أعيده إليك، لا تقلق

• حسناً .. هاهو .

تناول سراج منه القلم ثم أخرج عشرة قروش ورقية من جيبه ” باريزة“ و
جثا علي ركبته و بدأ يكتب علي العملة الورقية مستنداً عليها، كتب بخط
كبير بعرض العملة الورقية ” أنا معجب بك جداً..أتمني مقابلتك..ما
رأيتك؟ “ثم نهض و أعاد القلم لصاحبه.

• شكراً جزيلاً !

• العفو !

قالها صاحب القلم في إندهاشٍ شديدٍ و مضي .

• والآن سأنفذ خطتي..أتمني أن تنتبه الي ما كتبته علي العملة
الورقية ..يارب!

دلف الى المبنى متجهاً إليها و الثقة ترتسم علي ملامحه.

• صباحُ الخير.

• صباحُ الخير، كيف أخدمك ؟

قالتها بتلك الابتسامة الساحرة ..

• تذكرة لفيلم سلاسل من حرير..

قالها فاردأً تلك العملة الورقية بيديه الإثنتين أمام وجهه للحظات، ثم ناولها اياها في بطاء، نظرت له متعجبةً ثم تناولت العملة في هدوءٍ و إنتظرت لحظات.

• ممم آسفة، لا يوجد فكة، هل يمكنك العودة هنا مرةً أخرى بعد نهاية العرض لتأخذ ما تبقي لك من نقود ؟

تهللت أساريره قائلاً :

• حسناً حسناً، هذا جيد، شكراً لك!

• العفو، حاول أن تُسرع فالفيلم علي وشك البدء في أية لحظة الآن.

• حسناً..وداعاً.

• وداعاً.

إستدار متجهاً في سرعةٍ الي القاعة و قلبه يكاد ينفجر فرحاً.

• لابد أنها فعلت ذلك كي تأخذ وقتها لتكتب الرد المناسب حتي أعود ثانيةً بعد نهاية العرض ! أخيراً .. أكاد لا أصدق نفسي!

بدأ بعد ذلك العرض و هو يشاهد بعينه و لكن عقله و قلبه في مكانٍ آخر..

مرت اللحظات ثقيلةً عليه و هو ينتظر علي أحتر من الجمر، و ما أن إنتهي الفيلم حتي خرج من القاعة مسرعاً، متجهاً الي شباك التذاكر، كانت هناك تداعب شعرها في عدم إهتمام ناظرةً الي دفترٍ أمامها.

• مرحباً، لقد جئت كما إتفقنا.

• آه، مرحباً، لحظة.

رمقها ببصره متلهفاً حتي مدّت يدها مناولةً اياه شلئاً ورقياً، تناوله في لهفةٍ مقلباً اياه بحثاً عن الرد، و لكنه لم يجد شيئاً، نظر إليها في إندهاش ماطاً شفتيه في إمتعاضٍ شديدٍ، صمت للحظات ثم سأها قائلاً :

• ألا يوجد غير هذه العملة ؟

• هناك غيرها و لكن فضة.

• مم .. لا شكراً .

إستدار مغادراً و الحسرة تتأكله، و خيبة الأمل تعتصر قلبه بلا رحمة.

• لماذا لم ترد، لماذا لم تقل شيئاً؟! لماذا؟! ، لعلها لم تر ما كتبتة إليها
..ربما ! لن أياأس، سأحاول ثانياً حتي تري ما أكتبه إليها و ترد
علي، سأحاول مجدداً في الأسبوع المقبل!

مرت الأيام وهو يكثر فعلته، مرةً تلو المرة، يكتب إليها علي العملات
الورقية مراراً و تكراراً ولا يجد رداً، سبع مرات حتي الآن علي مر شهرين
دون جدوي، مجرد رسائل ذات اتجاه واحد فقط، منه إليها، في كل مرة
نفس الرسالة ..” أنا معجب بك جداً..أتمني مقابلتك..ما رأيك؟“.

ولكن بلا رد، كان قد فقد ما تبقي لديه من أمل، وتغيب عن الذهاب
للتياترو لشهرٍ ونصف.

في إحدى المقاهي الشعبية بالحسين، و في وسط زحام الجالسين هناك،
دار هذا الحوار علي أحد الطاولات :

- شيش بيش !
- يالك من محظوظ !
- هناك فرق بين الحظ و الشطارة يا مُغفل !
- أنت محظوظٌ فقط !
- ..لندع سراج يحكم بيننا، سراج !..سراج !

- نعم يا سي محمود !
- حسين يقول أنني محظوظٌ فقط..أفتقر الي الشطارة !
- دعك من تلك السخافات !
- الله ..ماذا أصابك ؟!
- الملل ..الملل أصابني يا محمود.
- قاطعهما حسين قائلاً :
- حسنأ لنكسر الملل !
- رد عليه سراج متأففاً :
- كيف يا فالح !
- إصبر علي رزقك ! هُناك فيلم بالسينما منذ يومين اسمه ” الأيدي الناعمة ” ، يقولون أن به الضحك للرُكَب !
- أشاح سراج بوجهه قائلاً :
- دعك من هذه السيرة العفنة !
- إسمع بس، سيعجبك هذا الفيلم ..
- قاطعه محمود قائلاً في تلذذ مُقبلاً أصابعه :
- ثُمَّ إن به ثلاث من المُمثلات ، لوز يا سراج !

نهض حسين من مقعده قائلاً :

• هيا هيا، أمامنا ساعة حتي حفلة الثالثة، يادوب !

نهض محمود هو الآخر هاتفاً إلي القهوجي :

• الحساب يا عرب ! سأدفعُ أنا هذه المرة يا أوغاد، و عليكم بحساب
السينما !

نهض سراج من مقعده و هو يزفر في ضيقٍ قائلاً :

• حسناً ! هيا بنا

تهللت أسارير محمود هاتفاً : إلي تياترو !

وصل ثلاثتهم إلي السينما و دلفوا الي الداخل متجهين إلي شباك التذاكر.

مال محمود علي كتف سراج هامساً :

• ستدفع أنت يا حلو كما إتفقنا !

• أعرف أعرف !

لم يكن هناك أحدٌ يقف في الشباك فضغط سراج الجرس مرتين، مرت
لحظات حتي سمع وقع أقدامٍ أنثويةٍ تقترب.

كانت هي ..

بشعرها، بطابع حُسنها، بشفتيها، و لكنّ شيئاً في عينيها قد تغير، قد تبدّل،
وصلت إلي الشباك و قابلته بابتسامة ذابلة.

• مرحباً، كيف أخدمُك ؟

• ثلاث تذاكر، الأيدي الناعمة.

قالها مناولاً إياها ريالاً كعملة ورقية واحدة (عشرون قرشاً) تناولت منه
النقود في إرتباكٍ قائلةً :

• لا يوجد فكة .. هل يُمكنك العودة بعد إنتهاء العرض و أخذ ما
تبقي ؟

قال في نفسه :

(تلك اللعينة لم تكفّ عن ألأعييها بعد!)

إبتسم متناولاً التذاكر منها قائلاً :

• حسناً، شكراً لكِ.

ثمّ صاح في محمود الذي كان محدّقاً بها :

• محمود ! يا أخينا! هيا !

• آه .. آه حسناً.

ثُمَّ اسْتَطَرَد هَامِساً فِي أُذُنِ سَرَاةٍ :

• ملين !

• إخرس !

قاطعهما حسين :

• الفيلم سيفوتنا يا ولاد ال ...

بعد إنتهاء عرض الفيلم خرجَ الثلاثة مغادرين القاعة متجهين إلى الخارج.

• حسين، إذهب و إئتِ بالباقي.

قلها سراج مشيراً بيده إلى شباك التذاكر.

• لا، فليذهب محمود.

• لا، ليس محمود، سأذهب أنا

إتجه سراج الي الشباك مخاطباً الفتاة.

• لو سمحتِ ..كنتِ قد طلبتِ منا أن ...

قاطعتهُ قائلةً :

• نعم نعم، هاهو الباقي.

قالتها و هي تنظر إليه في قلق .

• شكراً يا آنسة .

قالها سراج و إنصرف عائداً الي حسين و محمود

• ليلي ! أهو اليوم الموعود ؟

كان الصوت آتٍ من خلفها فإستدارت قائلةً :

• سلوي، نعم، تقريباً هو كذلك .

• سيأتونَ اليوم ؟

• نعم .. في السابعة، و لذلك طلبتُ منك أن تستلمي مني الوردية
اليوم .

• لا عليك، يعني هل وافقتِ عليه ؟ سأري بيدك الدبلة قريباً ؟

• مبدئياً نعم، إلا إذا حدث أمرٌ ما .

قالتها ليلي و عيناها تتبع سراج وهو يغادر المبني مع أصدقائه .

بعد ساعتين كانوا الثلاثة يسرون علي كورنيش النيل .

• أين سنذهب الآن ؟

قالها سراج و هو مُطرقٌ برأسه .

ردّ عليه حسين :

• مازالت السابعة، نعود إلي المقهي، ما رأيكم ؟

أخرج سراج الشلن من جيبه ملوحاً به في وجههم قائلاً :

• لم يتبق معي غير هذا الشلن، لا أُظنّ أنني سأذهب إلي...

<< صميت وبيض و جبنة ! >>

كان ذلك هتاف أحد الباعة الجائلين بجانبهم، فإختطف محمود الشلن من يد سراج قائلاً :

• أنا جائع يا أوغاد !

ثم إنّه مسرعاً الي البائع و ناوله الشلن قائلاً :

• هيتا أرجوك، أنا علي لحم بطني منذ الصباح يا عم !

ناوله البائع لفّة من البيض و السميط و الجُبْن ثم تناول الشلن من يده و قبله و مسح به علي جبهته

• شكراً يا عم !

قالها محمود و عاد مسرعاً الي أصدقائه، ثم ساروا مغادرين في هدوءٍ مبتعدين عن ذلك الرجل.

قبل أن يضع البائع الشلن في جيبه لفتت نظره تلك الكتابات عليه، ففرده

بيده و أغمض عينيه نصف إغماضاً محاولاً قراءة ما كُتِبَ عليه، و بدأ يقرأ
هامساً :

أنا أيضاً معجبةً بك .. سأقابلك أمام دار الأوبرا في السادسة
تماماً .. أرجوك ألا تتأخر .. إنها مسألة حياةٍ أو موت ..

ليلي .. تياترو

حكايات يناير

إلي كُلِّ عاشقي الإسكندرية ببحرِها و بردِها و أهلِها و كل تفاصيلها
إلي كُلِّ عاشقي شتائها ..
إلي كُلِّ من له حكاية بدأت في يناير و إنتهت في يناير..
حكاية سفر ، حكاية مصير ، أو حكاية حب..
أهدي لكم

كانت السادسة و النصف صباحاً من أولي نهارات يناير، كان الطقس يوحي بأنه سوف يكون شهراً بارداً، بارداً للغاية، خرج ذلك الشاب من أحد الشوارع الجانبية ثم وقف إلى جانب الطريق محاولاً إيقاف سيارة أجرة ولكن بلا جدوي، مرّت عشر دقائق كاملة قبل أن تتوقف له إحدى سيارات الأجرة المبتهجة باللونين الأسود و الأصفر، ركب السيارة و تنفس الصعداء.

• الإبراهيمية يا أسطي.

ثمّ أخرج هاتفه المحمول من جيب بنطاله و قام بإتصال

• ألو!

• ألو..يوسف.

• حبيبي..أمامي نصف ساعة بالكثير..سأنتظرُك أمام المدرسة

• لا، عند المتحف

• حسناً، سأتصل بك حينما أصل، سلام

• سلام

مرّت ربع ساعة و لم يتبادل يوسف و سائق التاكسي حتي نصف كلمة و ما أن وصل لوجهته حتي دفع الأجرة و نزل من السيارة ثمّ شكر السائق، لم تكن الفتاة قد وصلت بعد-عند المتحف-فظلّ ينتظرها محتضناً نفسه

من قسوة البرد و شدة الريح، كان الطقس يوحي بأنه سيكون مطيراً في غضون دقائق، أخرج تليفونه وهمّ بالإتصال بها ولكنه رآها قادمةً من بعيد علي وجهها تلك الابتسامة التي ألفها و ما أن رآها حتي تلاشي برد الشتاء من حوله، بل تحول إلي نسمة صيف حارة تُداعبه في لطفٍ، و ما أن إقتربت منه و صاحفت يدها يده حتي تحوّلت نسمة الصيف الي لهيبٍ صاحبها إزيادُ ضربات قلبه و كأنّها ترقص علي أنغام التانجو.

تلون العالم من حوله بألوان قوس قزح، و كأنّه في أحد أفلام ديزني للرسوم المتحركة، لم تكن تلك مصافحة أقرب ما كانت الي تلامس الأرواح بالنسبة إليه و كأنّها غاص في روحها و غاصت هي في روحه.

- أتأخرتُ عليك ؟
- لا أبداً يا حبيبتي، لقد وصلتُ لتوي.
- الجو شديد البرودة اليوم يا يوسف.
- رآها و هي تفرك كفيها من شدة البرد فقام بخلع معطفه و وضعه علي كتفها
- أهكذا أفضل ؟
- نعم، لكن، أنت ترتدي ملابساً خفيفة
- لا عليكِ يا مي، معكِ أشعر بالدفء، ثمّ ما المانع في أن تقلد أبطال السينما ؟

ضحكت لما قاله و إحمزَّ وجهها خجلاً و ضربته بخفّةٍ علي كتفه قائلةً :

- بس بقي، الله !
- عسل.
- إختشي !
- طيب، ألا يوجد حل آخر كي أراك بدلاً من هذه ((التذنية ((في كل مرة ؟ ليس من المعقول أن آت اليك من آخر الدنيا لأراك عشر دقائق و أمشي !
- أنت تعلم جيداً أنني أحلم بالخروج معك، و لكنك تعرف جيداً كم يكرهك أبي، إذا رأنا سوياً، فسيفتّلني، بالمعني الحرفي للكلمة، ثم إنه دائماً ما يرسل معي ((الدادة)) أو عم ربيع في أي مكان أذهبُ إليه، ما عدا المدرسة، لأنه لا يشك لحظة أنك ستجرؤ للقدوم هنا، و هذا من حسنِ حظنا يا يوسف.

نظر إليها في خيبة أمل قائلاً :

- مازلتُ لا أصدق أنه طردني حينما جئتُ أطلب يدك.
- أنت تعرف أنه صعب المراس، و يريدُ شخصاً بنفس درجة ثرائه..
- أعرف، لكنه يطلب المستحيل، و لكن أنا لا أهتم، أريد فقط أن أراك، بعيداً عن هنا، وبالطبع ليس في السابعة صباحاً !

- لا تقلق، أنا أعدُّ لك مفاجأة بخصوص هذا الشأن.
- فعلاً؟
- نعم، قريباً..
- يا مسهل !
- نظرت مي إلي ساعتها قائلةً :
- و الآن يجب أن أمضي، تأخرت علي ميعاد المدرسة
- إنتظري ! هل تناولتِ فطورك ؟
- ممم ليس ثانياً يا يوسف!
- أجيبي !
- لا .. لا أريد !
- (لا) لا توجد في قاموسي، الفطور شيء أساسي، كي تظلي دائماً جميلةً كما أنتِ، تعالي !
- أمسك يوسف يدها في رقّة و نظر الي جانبي الشارع لكي يعبر بها
- و إنَّجه إلي ذلك ((الكُشك)) بجانب المدرسة
- صباح الخير يا سمر.
- كانت سمر فتاةً مصريةً بالمعني التقليدي، تلك البشرة القمحية و الشعر

الأسود الفاحم و تلك البنية البسيطة الصغيرة ..عرف يوسف من مي بأنها
في الجامعة و رغم ذلك فهي تقفُ في ذلك الكشك لتُساعد أهلها، أمها و
إخواتها الثلاث الصغار اليتامي ..

- صباح النور يا أستاذ يوسف
- أستاذ ! يا سمر، خلي البساط أحمدي، هات لي
- أعرف أعرف، كرواسون و عصير تفاح، أليس كذلك ؟
- ابتسم يوسف و هزَّ رأسه مشيراً بالموافقة.
- دفع لها ثمن الأشياء و ودَّعها و مضى هو و مي .
- معكِ الكرواسون و العصير، كليهم يا مي الآن أو في الفسحة.
- قالها ثم أخرج لسانه لها
- فسحة !، حسناً يا يوسف ..أتهزأ بي !
- إنهار يوسف ضحكاً ثم قال لها :
- إسمعي الكلام يا بنت !
- حاضر يا أبي
- كم أنت فتاةٌ مطيعة ..
- إمش ..!

ودّعته و دخلت الي المدرسة، و ودّعها هو بنظرات ذات مغزي.

لم يكن يريد أن يذهب الي البيت، كان يشعر بوحشةٍ شديدةٍ بعد أن تركته و دلفت من باب المدرسة، و عاودته برودة الشتاء لكي تنتقمُ من كلِ نسَماتِ الصيف الحارة التي تحولت إليها بفعل إبتسامة مي و لمسات يديها، عاد العالم ليصير بالأبيض و الأسود.

فكّر في أن يتمشي حول المدرسة و المتحف قليلاً لعله يقتل بعض الوقت و ينتظرها حتي تخرج.

أخذ يتمشي و يتمشي، كان يسير في نفس الشوارع مرة تلو الأخرى .

لم يكتفِ العالمٌ بعقابه بالوحدة أو بالبرد فقط، و لكنَّ العقاب إزداد شدةً حينما بدأت الأمطار في الهطول عليه، و نسي أنه أعطاهها معطفه، فلم يملك إلا الإبتسام في وجه القدر.

نظرَ حوله فوقع نظره علي تلك البناية التي تمثل شمسية كبيرة له من الأمطار اتجه ليختبيء بين جدرانها حتي يهدأ المطر.

و مرّت الدقائق و هو مختبيء و لم يكفّ المطر عن الهطول.

• فين الشاي بتاعي يا عم حسين ؟

سمع يوسف الجملة تُقال بلكنة مصرية ركيكة بعض الشيء.

إستدار ليجدها سيدة في الخمسينيات من عمرها، و لكثها رشيقة رغم سنها، ذات عيون زرقاء و شعر أبيض فضي قصير (ألا جارسون) كما كانت السيدات يُصفن شعرهن في الستينيات، كانت تستند علي مدخل احدي ((السيرات)) أو انت كافيه كما يقال، يبدو أنها صاحبة.

• أحلي شاي بنعناع للست كاترينا، حالاً يكون جاهز.

قالها رجل قصير القامة أصلع الرأس ذو كرشٍ ضخـم نسبياً .. كان ذلك عم حسين .

قال يوسف في نفسه : شاي و ساير ! في عمارة .

نظر حوله و فهم و تدارك الموقف جيداً، كانت البناية من احدي البنايات القديمة من الأربعينيات و ربما قبل ذلك، كانت بناية من التي تحتوي علي محلات و أروقة بداخلها بدلاً من الجراجات، و كانت تحتضن أروقتها فرعاً من فروع أحد البنوك الشهيرة، كانت البناية حية بالبشر و المحلات و الأنشطة و الوجوه و الأفراح و الأحزان، كأنها عربية في أحد القطارات ، أو أحد شوارع وسط البلد، كأنها حياة بالكامل و لها قوانينها الخاصة و حدودها و معاييرها، كأنها كوكب مصغر علي كوكب الأرض، له شعبه الخاص، في مواجهة السايبر يقبُع دُكان عم حسين، هو بالأحري نصف دُكان من تلك الدكاكين التي تتبع نفس المنتجات، بسكويت و شيبس و مياة غازية و مياة معدنية و سجاير و ولآعات و غيرها من السلع الموحدة

مُتراحة في عناية بألوان تسرُّ الناظرين، و كأن تلك الدكاكين خرجت من مصنع واحد، إنَّجَّه يوسف ناحية السايبر و قبل أن يدلف إليه أُلقي التحية علي عم حسين الذي كان واقفاً خارج دكانه ينظر في شروود الي اللاشيء فلم يرد التحية، بداخل السير كانت تجلس الست كاترينا ممسكةً بقدر من الشاي الساخن و تستمع الي صوت الست، الست الأخرى طبعاً .. أم كلثوم.

• إتفضل إتفضل

قالتها بنفس اللكنة إياها.

• ممكن أجز ثلاث ساعات ؟

• طبعاً .. اختار جهاز و إتفضل ..

قالتها باسمه، كانت ملاحها دافئة هادئة تمنحك تلك الراحة و الطمأنينة .. نظر يوسف إلي ساعته فوجدها مازال العاشرة، ما يزال أمامه ما يقرب من خمس ساعاتٍ كاملة حتي تخرج مي من المدرسة، فتح الحاسوب الذي أمامه و أخذ يتصفح الانترنت و يضغط هنا و يكتب هناك و الوقت يمر عليه بطيئاً للغاية، و الست مازالت تغني و تبكي علي الأطلال، و الست كاترينا لم تنته من قدر الشاي بعد ..

سمع صوت تحريك مقعد خارج السير، نظر الي مصدر الصوت فوجده
عم حسين يحرك مقعداً ليجلس أمام دكانه، ثم رفع يديه الي الأعلى ناظراً
الي السماء..

• يارب.. يارب تكمل علي خير عشان أرتاح بقي ..

تنهت الست كاترينا لدعائه فأخفضت صوت مذياعها قائلةً :

• لسة برضه يا عم حسين ؟

• لسة والله .. كل يوم يقولوا بكرة بكرة، أديني مستني يكمني النهاردة
يمكن تكون طلعت.. يارب..

• معلش هانت، ربنا يطمنك يا عم حسين

نظر يوسف إليها في عدم فهم إمتزج بالفضول فإتبسمت له بصوتٍ أقرب
الي الهمس :

• أصل عم حسين مستني نتيجة إبنه اللي في الدبلوم .. ربنا يطمنه

هزَّ يوسف رأسه متفهمهاً ثم عاد الي تصفح الانترنت من جديد، مرَّت
ساعة و نصف قبل أن يرَنَّ ذلك الهاتف ليقتل الصمت القائم في المكان
كان هاتف الست كاترينا المحمول، إرتدت نظاراتها الطبية في هدوءٍ ناظرةً
إليه ثم نفخت في ضيقٍ و ردّت :

• آلو.. هكتور، أنا بخير، آه هو أيضاً بخير و أنت كيف حالك؟،

و كيف حال سيمون ؟، بلّغها تحياتي ، أمازلت مصمماً علي فتح
ذلك الموضوع ! ..قلت لك لا أريد القدوم ! أعرف أنه يريد السفر، و
لكنك تعرف الظروف أيضاً، صدقني حال البلد ليس بمثل هذا
السوء، لا تصدق كل ما يقال في وسائل الإعلام، لقد سئمتُ من
التحدث في نفس الموضوع مراراً و تكراراً، و أرجوك، كف عن
التلاعب بعقل الولد، كلما تحدث إليك إزداد إصراراً علي السفر..
حسناً يا هيكتور ..حسناً ..مع السلامة .
قالتها و ألقت بهاتفها المحمول في عصبية علي المكتب، كان يوسف يسترق
السمع و لكنه لم يفهم كلمة واحدةً ، لأنها كانت تتحدث باليونانية الخالصة.
بعد مرور ثلاث ساعاتٍ أشارت الست كاترينا إلي يوسف بإنهاء وقته
فنهض من مقعده و دفع ما عليه، إبتسم لها شاكراً و غادر المكان.
حينما غادر البناية و خرج إلي الشارع كانت الشمس قد إنتصرت في
معركتها ضد السحب، و وجدت مكاناً لها كي ترسل أشعتها الذهبية
لسكّان الأرض، و بالأخصٍ إليه..كأنّها تصالحه علي فترة غيابها في الصباح
و ما حلّ به في تلك الفترة، نظر إلي ساعته، وجدها الواحدة و الربع ،
عليه أن ينتظر ربع ساعة حتي تخرج مي من مدرستها، أخذ يتمشي حتي
وصل إلي المدرسة .

إتجه الي المتحف المواجه للمدرسة، وإستند الي أحد أسواره عاقداً
ساعديه منتظراً في ملل.

• إنت بتعمل إيه هنا !

أتاه ذلك الصوت من خلفه بنبرة حادة، إستدار ليجد ضابط شرطة
يرتدي نظارة شمسية لتكسب مظهره بعض الجدية و يمسك بيده إحدي
أجهزة اللاسلكي، تصدر منه بعض الأصوات المشوشة و الغير مفهومة
كرّر الضابط سؤاله مرة ثانية :

• إنت بتعمل إيه هنا !

• أنا ..أنا مستني حد بس ..

قالها يوسف في إرتباك و قد إعتدل في وقفته

• طيب قدامك ٥ دقائق و تمشي من هنا، مش ناقصين قلق و
حياة والدك !

• حاضر، ٥ دقائق و همشي

بعد قليل ظهرت مي خارجةً من المدرسة و لكنّها لم تنتبه لوجوده فهي
تعرف أنه رآها و رحل في الصباح مثل كل مرة، كانت تقف مع زميلاتها
أمام سور المدرسة، حينما نهبتها إحدي صديقاتها أنه يشير إليها واقفاً أمام
المتحف، نقلت بصرها إليه فانداهشت ثم استأذنت زميلاتها متجهة

إليه وجدته يشير إليها بالإنظار في مكانها متجهاً إليها تظهر علي ملامحه
علامات الضيق و التبرؤم.

• أولاً، لماذا جئت من جديد بعد أن عدت إلي البيت؟ ثانياً ماذا
بك؟

• أولاً، أنا لم أعد الي البيت، ثانياً أنا أشعر بالضيق لأنك سببت
لي مشكلة!

• أنا!

• نعم، جاء إليّ شرطي منذ قليل، سين و جيم، لأنني أقف أمام
المتحف! كاد أن يقبض عليّ..

• و ما ذنبي!

• ذنبك أنك ترفضين مقابلتي بعيداً عن المدرسة!..

• الصبر يا يوسف..الصبر! لقد قلت أنك لم تعد..أين ذهبت اذاً؟

• تمشيت حتي وجدت أحد مقاهي الانترنت، في البناية التي بها
البنك..

• أنت مجنون!

• مجنونٌ بك، لم أستطع أن أمضي دون أن أراك ثانية..

• و ها قد رأيته، إذهب لتسترح..أرجوك.

- بهذه السرعة !؟
 - أنت تعرف، لقد تأخرت، ولا أريد إفتعال المشاكل مع أبي.
 - حسناً.
 - إتصل بي حينما تصل.
 - سوف أفعل..وداعاً.
 - وداعاً حبيبي.
- سلمت عليه مي و تركته مبتعدةً و هو يراقبها حتي إختفت في أحدي الشوارع، فمضي هو الآخر متجهاً إلي بيته .

بعد مرور يومين ..في السابعة صباحاً ..كان يوسف يقف من جديد أمام المتحف منتظراً قدوم مي، ولكنها تأخرت عن المعتاد، مرّت الدقائق ثقيلاً عليه و هو ينتظر، يقطع المسافة أمام المتحف جيئةً و ذهاباً ..يركّل الحصى أو يقوم بمتابعة السيارات المارة، حاول الإتصال بها و لكنها لم تزد، نظر في ساعته في قلق ..كانت الثامنة إلا خمس دقائق..لم يتبق علي ميعاد الدخول الي مدرستها إلا القليل، أخرج هاتفه ليتصل بها من جديد علّ وعسي، و حينها ظهرت قادمة من بعيد تهرول متجهةً إليه، تنقل بصرها بينه و بين المدرسة في إرتباك.

• آسفة..تأخرت، سوف أخبرك لاحقاً، لابد أن أذهب، تعرف أنني قد تأخرت علي ميعاد المدرسة.

أطرق برأسه قائلاً :

• حسناً يا مي..

• أرجوك..لا تغضب..سوف أعوّضها لك، ولا تنتظر مثل المرة السابقة، عُد إلي البيت الآن !!

• طيب طيب ..

• سلام

• سلام

تابعها بعينيه حتي دلفت الي المدرسة ثُمَّ نفخ في ضيق، لم يعرف هل يعود إلي البيت أم يفعل مثل المرة السابقة، ظل يتمشي هائماً علي وجهه في الشوارع المحيطة بالمدرسة دون أية وجهة معينة في رأسه، لم ينتبه إلا حينما وجد نفسه أمام تلك البناية مرة أخرى، و بعد تفكيرٍ عميقٍ قرر أن يكرر التجربة مرة أخرى، دلف الي تلك البناية في هدوءٍ متجهماً إلي السير كما فعل من قبل، ولكنه توقف في نصف المسافة، حينما وجد السير مغلقاً.. نظر إلي الناحية المقابلة فوجد دكان عم حسين أيضاً مغلقاً، تلفت حوله فوجد جميع المحلات مغلقة ..لابد أنه جاء مبكراً .. و ..

• لسة ما حدش جه يا باشا..!

أتاه ذلك الصوت من خلفه، بلهجة صعيدية أصيلة إستدار إلى مصدر الصوت فوجده ((عسكري)) شرطة أسمر البشرة ، هزيل البنية، ضئيل الحجم، يرتدي ذلك الزي العسكري التقليدي، كان رثاً للغاية واسعاً عليه ، حتي تظن أنه يختفي بداخله لا يرتديه ، إنَّجه إليه يوسف قائلاً :

• شكراً بس هُنا بيفتحوا إمتي ؟ الست كاترينا بتفتح إمتي ؟

• ساعتك كام

قالها و هو يفرك يديه ليكتسب بعض الدفء..

• الساعة تمانية و نص

• بتاع نص ساعة و ييجوا إن شاء الله، إسم الكريم إيه ؟

• يوسف و إنت؟

• بدر يا باشا

• عاشت الأسامي يا بدر ، و بلاش باشا دي، إحنا حتي من سن بعض

• تسلم يا باشا

قالها بنفس اللهجة الصعيدية مبتسماً في أدب تُم أخرج من جيب قميصه

علبة سجائر محلية مهترئة هزها في بطن فقفت من فتحها سيجارة إنتقطها
و نظرت إلى داخل العلبة بعين مفتوحة و عين مغلقة ثم كور العلبة في
قبضته و ألقاها بعيداً في ضيق، إبتسم يوسف ثم أخرج من جيب بنطاله
علبة سجائر مستوردة فتحها و إنتقط منها سيجارتين قدمها له، نظر بدر
إليه فاعراً فاه غير مصدق

• ألف شكر يا باشا، ربنا يخليك.

و إرتسمت علي وجهه البهجة و كأنه قد فاز للتو بمليون دولار ..

إلتقط السيجارتين في عناية و قربهما من أنفه يشتمهما في سرور قائلاً :

• و كان أمريكاني ، تسلم يا باشا

• ما قلنا بلاش باشا دي يا سيدي

• حاضر يا باشا

ضحك يوسف لما قاله ثم إستطرد قائلاً :

• و إنت واقف هنا بتعمل إيه يا بدر ؟

ردّ عليه بدر و هو مازال ينظر إلى السيجارتين في تبجيل :

• مع قوات تأمين البنك يا باشا. بستلم ورديتي من ٦ الصبح ل

٦ بالليل

- ياه ، ١٢ ساعة و في البرد ده ؟
- برد، حر، إن شالله القيامة تقوم حتي، مكتوب علينا التذنية دي زي ما إنت شايف
- ((التذنية دي))

تكرر وقع صدي تلك الكلمات في عقل يوسف فأشاح بوجهه متذكراً ما تعنيه له تلك الجملة جيداً، إبتسم ساخراً من نفسه ثم إستطرد قائلاً :

- ربنا يعينك يا بدر، معلش محدش مرتاح
- الحمد لله بس حضرتك ما قلتليش، بتشتغل إيه ؟
- لا أنا لسة بدرس، كلية تجارة
- ممم..ربنا يوفقك يا باشا، أهو عم حسين جه أهو، صباح الخير يا عم حسين

أتاه صوت عم حسين من خلفه :

- صباح الخير يا بدر

إنحني يوسف هامساً الي بدر :

- هو عم حسين بيعمل شاي ؟

أجابه بدر بنفس النبرة الهامسة

- شاي و قهوة و ((ناسكافيه)) كان لو عايز !
- أجابه يوسف مُتصنعاً الجدية محاكياً لهجة بدر الصعيدية :
- لا مالوش لزمة ال ((ناسكافيه))
- ثم إستدار و هو يحاول أن يكتم ضحكة كادت أن تخرج منه، إتجه الي دكان عم حسين و أخذ يتفحص محتوياته في هدوء
- السلام عليكم .. صباح الخير يا عم حسين
- و عليكم السلام .. صباح النور
- ممكن باكو بسكوت و كوباية شاي بس خفيفة الله يكرمك .
- عينيا يا باشا
- تسلم، هي الست كاترينا هاتطول ؟
- لا، زمانها جاية، عقبال ما تشرب الشاي تكون جت إن شاء الله
- طيب تمام
- إنت مستعجل محتاج النت في حاجة ؟
- لا أبداً، أنا بس مستني حد كدة و عايز أضيع الوقت عقبال ما ييجي .
- طيب يا سيدي أديك بتضيعه معانا ولا إحنا مش قد المقام ؟

قالها بإبتسامة بشوشة للغاية كشفت عن أسنانه الصفراء و تلك السوسة
في نابه الأيمن ..

• لا طبعاً ده أنا يزيدني الشرف..

أخرج عم حسين مقعداً قابلاً للطّي من دكانه، فردّه ثم حمّله تجاه يوسف
مشيراً إليه بالجلوس

• اتفضل يا بني و ادي الشاي، ألف هنا

تناول يوسف الشاي و جلس علي المقعد حينما رأي الست كاترينا قادمةً
من بعيدٍ متأثقةً كما رآها منذ يومين بذلك الشعر الفضّي المُرتّب بعناية
فنهض لتحيّتها مبتسماً :

• صباح الخير

• صباح النور.. إزيك يا عم حسين.. إزيك يا بدر

ردّ الإثنين في نفس واحد :

• الحمد لله .. إزيك يا ست كاترينا

• كله تمام

ثمّ نقلت بصرها إلي يوسف قائلةً :

• إنت مستني هنا بقالك كتير ؟

- يعني، ساعة إلا شوية، بس لقيت الناس الطيبين دول
- عم حسين و بدر دول زي عيلتي، مفيش أجدع ولا أطيب منهم
- ردّ عليها عم حسين :
- والله إنتِ إليّ ما فيه زيّك يا ست كاترينا
- ثمّ قاطعه بدر مشيراً إلي يوسف قائلاً :
- و الراجل ده باين عليه طيب و ابن ناس هو كان.
- إبتسم يوسف و إتّجه لیساعد الست كاترينا في فتح باب محلها ثمّ إنتظر بالخارج حتي أضاءت أنوار المحل ثم أشارت له بالدخول.
- مرّت ساعتين و يوسف يجلس أمام الحاسب يتصفح الانترنت و الست كاترينا تستمع إلي السيدة فيروز، حينما دلف الي المكان شاب يبدو في العشرين من عمره له نفس عينين و ملامح الست كاترينا، سحب مقعداً و جلس بجانبها، و همّ أن يفتح فمه ليتكلم فقاطعه الست كاترين :
- أليكس..إذا جئت لتحدثني في نفس الموضوع فخير لك ألاّ تتكلم، و إرحل في صمت !
- يا أمي ، أنا لا أريد أن أعيش هنا ..أنا حر !
- و أنا أيضاً حرة ! ثمّ أنّ أختك لا تريد أن تسافر أيضاً !

- إذا وافقتِ علي السفر ستوافق هي أيضاً !
- أنا لن أفرض عليها شيئاً
- و لكنكِ تفرضين عليّ أشياءً ! رائع !
- عشت هنا و سأموت هنا ..
- و ماذا يعجبك هنا !
- و أنت ماذا يعجبك هناك !
- أوقف...أمي، إسمعي..لن أفرض عليك شيئاً، إبقى هنا كما تشائين أنتِ و أختي، و لكن دعيني أسافر !
- و من أين آتٍ لك بالمال ؟
- إعرضي المحل للبيع ..
- و أضحي بريعه ؟ و من أين آتٍ بالمال لأعيش أنا و أختك ؟
- عن أي ريع تتكلمين ..! أنت تنفقين علي المحل أكثر مما تربحين منه ! ثُمَّ إِنَّ لَدَيْكَ معاش أبي !
- حتي إذا بعته، ماذا أفعل كل يوم في حياتي ؟ أقبع أمام التلفاز ليل نهار ؟
- إذن، لنسافر سوياً، و هناك ستجدين أقباءنا و ستصنعين صداقات جديدة، و ربما تفتحين هناك مشروعاً آخر !

- أليكس..لن أسافر..!
- لماذا تتمسكين بهذا المحل بهذا الشكل ! لماذا ! إنه خردة !
- أليكس..إخرس !
- هكذا ؟
- نعم، و أرجوك كُفَّ عن التحدث معي في ذلك الموضوع ثانياً..!
- قلت لك لن أسافر !
- كم أكرهكِ ! ..ستندمين يا أماه ..ستندمين !
- قالها و نهض من مقعده في قوة و غادر المكان مسرعاً ..
- دار الحديث بينهما باليونانية فلم يستطع يوسف أن يفهم كلمة واحدة ..
- و لكنه فهم أن الأمر خطير للغاية حينما وجد الست كاترينا تبكي بشكل هستيري.
- فنهض و أعطي لها منديلاً لتجفف دموعها و جلس بجانبها.
- أنا لا أريد ان أتدخل فيما لا يعني، ولكنكِ مثل أمي، و من الصعب علي أن أراكِ تبكين بهذا الشكل..إنظري.
- خرج من المكان و عاد حاملاً كوباً من الماء أعطاه لها
- تفضلي، و من فضلك إهدي.

• شكراً لك.

لاحظ يوسف أنها بدأت تهدأ فقرّر أن يسألها :

• إذا لم يُخَيِّ ذكائي فذلك كان إبنك .. صحيح ؟

• للأسف.

قالتها و عادت إلي البكاء مرةً ثانيةً

• ما حدث مع أخي .. من قبل، يحدث مع إبنك مرةً أخرى

قالتها بصوت متحشرج وسط أنفاسها المُتقطعة.

إستطردت قائلة :

• منذ ما يقرب من خمسين سنة، جئنا من اليونان، أنا و أبي و أخي، كانت أمي قد توفيت و لم يعد أبي يرغب في أن يعيش هناك مع ذكريات تقتله يوماً بعد يوم، باع كل ما لديه هناك و قرّر أن يفتح متجراً لبيع الأقمشة هنا، بعد عدة سنوات تزوجت من شاب مصري لنتزوج قصة حبنا بهذا الزواج، كان عمري وقتها خمسة و عشرون عاماً، لم تكتمل فرحتي، توفي والدي بعد زواجي بشهر، و كأن الحياة تعاقبني علي الفرحة التي أهدتني إياها ..

و بعد أسبوعين فقط، قرّر أخي أن يسافر عائداً الي اليونان، و طلب مني أن أترك زوجي و أعود معه، و لكنني رفضت، ليس فقط حباً

في زوجي، بل لأن هناك حياة كانت قد بدأت تنمو في أحشائي، و لم أشأ أن يولد الطفل فلا يجد أبيه حوله، حدثت بيني و بين أخي الكثير من المشادات، تماماً كما تحدث الآن مع إبني، و بعد كثير من الصراخ و الألم و تبادل الاتهامات، إتفقنا أن نُقسّم التركة، يأخذ هو منزلنا ليبيعه و يسافر، و كان من نصيبي أنا متجر الأقمشة، التي كانت قد بارت سلعه، ولكتني لم أياس، إستطعت أنا و زوجي أن نُجَدّد المكان و بدأنا مشروعاً جديداً، متجر لبيع الساعات و التحف، كانت الحياه تسير بشكل جيد..وظيفته الحكومية بجانب ريع المتجر، و جاء المولود إلي الحياة..في الواقع كانوا إثنين، رزقني الله بتوأم.. أليكس و تاليا، و شعرتُ أنني أعيش الجنة التي طالما حلمت بها، وأن الحياة قد بدأت أخيراً في مُصالحتي، لكنّ الحياة لم تكفّ عن معاقبتي، حينما رحل زوجي هو الآخر عن عالمنا .. رحل و تركني لا أعرف ماذا أفعل و كيف أتصرف، وهو مازاد الحمل ثقلأ عليّ... خاصةً مع أطفالي الرضع، بعد فترة بدأت خسائر المحل في الزيادة، و تراكت الديون ..فقررت بيع البضاعة الباقية و تسديد ما عليّ من ديون ..و أغلقت المحل، عرض علي الكثيرون شراءه و لكنني لم أرغب أن أبيع الشيء الوحيد الباقي من أبي، ظل ذلك المحل مغلقاً حتي العام السابق، لم أكن أفعل شيئاً في حياتي غير مشاهدة التلفاز و الجلوس في شرفة بيتي أشاهد العابرين في صمت، قررت أن أكسر ذلك الملل، و افتتحت مشروعاً جديداً..هو الذي تراه الآن، و الآن يعيد التاريخ نفسه من جديد، و يريد إبني أن يبيع المحل و يسافر إلي

اليونان بثمانه ، و لكنه لا يفهم قيمة هذا المحل عندي ..

كانت تنظر إلي كل ركن من أركان المحل بنظرات تمتزج بين الشوق و الخوف و الألم .. تتغير ملامحها ما بين الفرحة و الحزن كلما نقلت بصرها من ركن إلي ركن و كأنها تشاهد الذكريات أمامها حيةً من جديد، شعر يوسف أنها ليست بخير فربت علي يديها قائلاً :

• ما رأيك بإغلاق المحل لبقية اليوم .. و تذهبين الي البيت لترتاحي قليلاً.

هزت رأسها موافقة، فنهض من جلسته و ساعدها علي النهوض.

• اجلسي بالخارج و سأقوم انا بكل شيء

• شكراً لك يا يوسف .. ياليت إبني كان مثلك ..

• بل هو أفضل مني و لكنك تعرفين أنّ لكل منا رغباته الخاصة

أجلسها بالخارج علي أحد مقاعد عم حسين وسط العديد من ال ((معلش)) من عم حسين و بدر .. و كثير من المواساة التي لن تنفعها بشيء .. أطفأ يوسف كل الأنوار و أغلق المحل و أعطي المفتاح للست كاترينا .. ثم نفّض يديه قائلاً :

• كله تمام ..

• متشكرة يا يوسف، سوف أذهب الي البيت

- انتظري، سوف أرافقك ..
- لا داعي لذلك .
- مستحيل، أنت تعب و يجب أن أتأكد من ايصالك للبيت في سلام
- واجب برضه.
- قالها عم حسين ناقلاً بصره بين الجميع
- بتفهم في الأصول يا سي يوسف
- قالها بدر و هو يعدل من وضع بنطاله الذي كاد أن يسقط مؤكداً علي كلام عم حسين ..
- سلام يا جماعة .. هيا بنا يا ست كاترينا ..
- قالها يوسف مساعداً الست كاترينا علي النهوض ثم غادرا البناية سوياً

لم يكن منزل الست كاترينا بعيداً، فوصلا سريعاً، ساعدها يوسف علي النزول من سيارة الأجرة و دفع جنيهاً و نصف للسائق الذي كاد أن يبصق عليه و لكنه انطلق بالسيارة ناظراً له في اشمزاز، رفع يوسف عينيه الي بناية الست كاترينا ،كانت بناية أثرية قديمة، تشعر أمامها أنك تشهد الحرب العالمية الأولى .. هي جزء من التاريخ .. لا تختلف عن تلك

البنائات القديمة في روما أو باريس..بتلك الأطر و النقوش المميزة لكل بنايات أوائل القرن العشرين، صعدا سوياً إلى الدور الأول (علوي) حيث كانت تسكن الست كاترينا.

كانت شقة صغيرة ..هي أيضاً جزءٌ من التاريخ ..بتلك النقوش التي تملأ سقوفها، و ذلك المذيع البني القديم ذو العجلتين الذي تراه فقط في أفلام عبد الحليم و أهل الحطة يستمعون إليه علي القهوة و هم يشعرون بالفخر بإبن حنتهم !

كانت الحوائط تمتليء بصور قديمة بالأبيض و الأسود ، صور لها هي و زوجها، وهي و أبيها، كانت من ذلك النوع من الصور رسمية ((زيادة عن اللزوم)) تلك الصور التي كان يرتدي فيها الرجال أفخم ملابسهم الرسمية ناظرين إلي عدسة الكاميرا في صرامة شديدة فخورين بذلك الشارب الكثَّ تحت أنوفهم، وترتدين فيها السيدات تلك الفساتين القصيرة عارية الكتفين مبتسمات إلي الكاميرا في ثقة و غرور و كأنهنَّ يملكنَ العالم بأكمله، مصففاتٍ شعرهنَّ في دوائر لا تنتهي.

أجلسها علي كنبه الأتتريه في بطاء قائلاً :

- هل تشعرين بتحسن ؟
- نعم ..شكراً لك يا يوسف .
- لا تشكريني يا ست كاترينا، أنت بمثابة والدتي، أين تاليا إبتك ؟

- الوقت مازال مبكراً، لابد أنها مازالت بالجامعة
- حسناً سوف أذهب الآن، و اذا إحتجت شيئاً ما عليك الا الاتصال بي، سَجَلْتُ رقمي علي هاتفك، ستجدينه تحت إسم (يوسف غريب) ..وداعاً..
- وداعاً يا يوسف..

نزل الدّرج مسرعاً و هو ينظر إلي ساعته ..كانت الواحدة و النصف.. يعرف أنه تأخّر علي مي ، لابد أنها ستخرج الآن من المدرسة في أية لحظة أخرج هاتفه المحمول من جيب بنطاله و إتّصل بها :

- آلو
- آلو..حببيتي ..أسف..تأخّرتُ عليك، و لم أستطع القدوم إليك اليوم.
- لا عليك ..قلت لك لا تأتي، لماذا تصمم علي القدوم ؟
- ألا تشتاقين إليّ؟
- بلي، و لكنك تراني مرة في الصباح، فلما تنتظرنني كل هذا الوقت لتراني ثانيةٍ
- مرة واحدة لا تكفي ..أودُّ أن أراك في اللحظة آلاف المرات.

- أتجبنني لهذه الدرجة ؟
- هل عندك شك ؟
- محظوظة أنا بك .
- بل أنا .
- لا..أنا .
- مي !
- يوسف !

ثُمَّ لم تمالك مي نفسها فضحكت تلك الضحكة التي جعلت قلب يوسف يرقص علي أنغام التانجو من جديد، و يتلون في عينيه العالم بألوان لم يعهدها من قبل.

- سأراك الأسبوع المقبل ؟
- أمام المتحف
- أُحبك..
- و أنا أعشقتك ..
- حتي النهاية ؟
- و ما بعد النهاية ..

بعد ثلاثة أيام ..كان يوسف يقف من جديد أمام المتحف في السابعة صباحاً، مرّت عشر دقائق كاملة قبل أن يرّن هاتفه المحمول :

• آلو

• آلو..يوسف، يجب أن تغادر المكان ..حالاً

قالتها بصوت خائف متحشرج

• لماذا ؟ ما بكِ؟

• إنه أبي..سوف يأتي معي اليوم ليدفع نفقات المدرسة، أرجوك
إذهب.

• حسناً حسناً ..سأغادر الآن .

• شكراً حبيبي ..سلام

• سلام

يا لخيبة الأمل التي يشعر بها ..!

ينتظر تلك اللحظة منذ ثلاثة أيام كاملة ..و الآن لن يستطيع رؤيتها لليوم
الرابع علي التوالي .

غادر المكان مسرعاً حتي لا يتسبّب في أي أذّي لها، و لكن خائنه قدماه .

الشوق يقتله لرؤيتها، تسمر في مكانه ..ثمّ قرّر أن يراقبها من بعيد، عله

يظفيء ذلك الشوق الممتد في أعماقه مؤقتاً .. مرت عدة دقائق حتي ظهرت قادمة و بجانبها ظهر والدها، كان رجلاً ضخماً، أصلع الرأس، ترتسم علي ملامحه الجدّية، تابعهما بعينه حتي دلفا إلي باب تلك المدرسة، نفخ في ضيق ثم قتر أن يتجه الي البناية إياها، يعرف أنه أتي مبكراً مثل المرة السابقة، و لكنه سينتظر حتي تأتي الست كاترينا و عم حسين، و يمر الوقت معهما كالعادة .. دلف إلي البناية باتجاه السبيل و دگان عم حسين فوجدهما مغلقين كما توقع مسبقاً، وقع بصره علي بدر في آخر الرواق.

كان يجلس علي الأرض مستنداً إلي الحائط، يدفن رأسه بين ركبتيه محتضناً قدميه بذراعيه، إقترب منه في هدوء ..

• بدر...إنت نايم ؟ بدر ..

لم يرد بدر، و لكنه أخرج رأسه المدفون من بين ركبتيه في بطاء .. كان وجهة محمراً بشدة، تتساقط من عينيه الدموع بلا رحمة !

• يا ساتر ..مالك بس !

قالها يوسف في جزع ثم جثا علي ركبتيه بجانب بدر ..

• أمي يا باشا ..أمي تعبانة قوي، و كلموني من ساعة قالوا لي إنها بتخلص خلاص و عايزه تشوفك.

• يا سيدي ربنا يطول في عمرها، طيب ما تروح تشوفها ؟

• مش راضيين يدوني أجازة، قلت لسالم باشا من شوية ما رضيش..إتحايلت عليه و وطيت علي جزمته أبوسها، برضه مارضيش، قاللي الأيام دي فيه لبش كتير و البلد محتاجة كل فرد أمن عشان نأمن الأماكن المهمة.

• طب و بعدين يا بدر..هاتعمل ايه ؟

• أنا هستني جلال بيه، هو بيبجي عالمغرب و هقول له، لو مارضيش ..يبقي ساعتها ما قداميش غير حل واحد.

قالها و هو يمسخ دموعه بظهر كفه ناظراً في تحدٍ الي اللاشيء.

• إوعي يا بدر ! هايمسكوك و تتحاكم محاكمة عسكرية و هانتبدل

• إن شالله أروح في ستين داهية ..بس أشوف أمي، لو ماتت قبل ما أشوفها هولّع في روحي، و الله أولع في روحي.

قالها و أجهش في البكاء و دفن رأسه ثانياً بين ركبتيه، ربّت يوسف علي كتفه قائلاً :

• إهدا بس و هانشوف حل ..ربنا كريم.

<< بدر ! ..انت يا زفت ياللي اسمك بدر ! >>

جاء الصوت من خارج البناية فنفض بدر مذعوراً و هو يعدّل قبعته فوق رأسه و يمسخ دموعه المنهمرة بأكام قيصه المتسخ ..

• إيوة يا باشا ..جاي أهو ..

نهض يوسف من جلسته و نقّض عن ركبتيه الغبار حينما سمع صوت وقع خطوات آتية من خلفه..فإستدار ليجده عم حسين

• صباح الخير يا يوسف

• صباح النور يا عم حسين

• ماله بدر؟

اقترب يوسف من عم حسين هامساً :

• أمه الظاهر في أيامها الأخيرة و كلموه عشان عايذة تشوفه ..إنت

فاهم بقي، و المصيبة انهم هنا مش راضيين يدوله أجازة يروح لها.

• لا حول ولا قوة الا بالله ..عالم مُفترية !

• أهو بيحاول معاهم، بس شكله لو معرفش هايهرب و يروح يشوفها

• يا نهار إسود ..دول كانوا ينفخوه !

• بالظبط ..عقله و النبي يا عم حسين

• أما يرجع بس ..و أنا ليا معاه كلام ثاني

أطلق تنهيدة حارة ثُمَّ إستطرد قائلاً :

• فعلاً محدش مرتاح في الدنيا دي .. كل واحد عايش في حكاية مغلباه، و مخليه يلف حوالين نفسه زي المساطيل، أصل الناس في الدنيا دي مقسومة إثنين ..ناس بتتسطل من الشرب، و ناس بتتسطل من الغلب ..

• ياه .. ده إنت شاييل قوي يا عم حسين

• و مين فينا مش شاييل يابني، المهم مين إللي يفضل مكمل ما يقعش بالحمل إللي شايله.

• و إنت ايه حملك يا عم حسين ؟

• هقول لك ..أفتح بس الدكان عشان أكل عيشي و نشربوا كبايتين شاي في الخمسينه ..و ما تخافش .. علي حسابي ..

قالها بضحكة مرة ثم إستدار ليفتح دكانه، بعد دقائق كان الإثنان يجلسان و يحتسيان الشاي و بدأ عم حسين في قص حكايته علي يوسف :

• أبويا كان راجل علي قد حاله، موظف في الشهر العقاري، مات و سابنا ما حيلتناش اللضا ! أنا و أمي و إخواتي، ثلاث بنات، كنت انا إتخرجت من الكلية ..حاولت اشتغل بشهادتي معرفتش، و فضلت أشتغل أي حاجة عشان أصرف علي أمي و إخواتي، ما إنت عارف المعاش ملاليم، لا بيحوق ولا بيلوق بعد كام سنة، ربنا كرمني و فتحت الكشك ده و جوزت منه إخواتي الثلاثة ..كلها جوازات علي قد الحال، بس أهما إستتروا

و خلاص، و ربنا هدايني و إتجوزت بعد ما جوزتهم، و خلّفت بنتين و ولد، وكنا عايشين كلنا في بيت واحد..أنا و أمي و العيال، كله كان ماشي عال العال ..بس الدنيا ما بتسيبش حد في حاله.

مطّ شفتيه في ضيق ثمّ أكل :

• أمي جالها فشل كلوي و بقت محتاجة تغسل يومين في الإِسبوع والبنات كبرت و عايزة تتجوز، و الواد لسة في المدرسة و محتاج مصاريف، بس ربنا ما بينساش حد، رزقني بعدها بشغلانة كدة بعد الظهر ..أهي بتسند .

قالها بالعلأ ريقه في صعوبة..ثمّ إستطرد قائلاً :

• جوّزت البنتين، و بعالج أمي، و مفاضلش غير الواد، و السنة دي بقي في الدبلوم ..مستنيه ياخذ الشهادة و أطلعه من المدرسة يشتغل بقي و يسندني ..و أسيب بقي الشغلانة الثانية إللي قاطمة ضهري دي .

قالها مشدداً علي آخر جملة في مرارة .

• ربنا يكرمك يا عم حسين و يرزقك

• يارب ..و إنت ملكش حكاية إنت كان ؟ الدنيا مش بتسطلك ؟

ولا إنت من إللي بيتسلطوا من الشرب ؟

قلها و انفجرا الإثنين ضاحكين .

- اللهم إجله خير .
- صحيح ..الست كاترينا إتأخرت ليه ؟
- أهي زمانها جاية
- هي كويسة ؟ أنا كنت سايبها تعبانة آخر مرة
- لا كويسة الحمد لله، ما تقلقش ..هو إبنا ده كدة، دايمًا مغلبها، ربنا يهديه
- يارب .

بعد قليل وصلت الست كاترينا بأنقتها المعتادة و شعرها المُرْتَب بعناية شديدة و تلك الابتسامة التي تبعثُ علي الاطمئنان و السكينة .

نهض يوسف من مقعده مبتسماً لها :

- ست كاترينا ..
- كيف حالكم ؟
- بخير و حضرتك
- تمام .

بعد مرور ربع الساعة كان يوسف يجلس علي نفس الحاسوب الذي

إعتاد أن يجلس إليه في كل مرة ..

و بدأت تلعب أنغام التانجو ..و لكن ليس في قلبه هذه المرة.

كان الصوت يأتي من حاسوب الست كاترينا .

إستدار يوسف متعجباً،ناظراً إلى الست كاترينا.

• هذه أول مرة أراك فيها تستمعين ذلك النوع من الموسيقى

• آه ..تقصد التانجو، لذلك قصة ..

• ما هي ؟

• كان زوجي يعشق التانجو ..و كان يستمع دائماً إليه و تمنى أن يتعلم

كيف يرقص علي أنغامه، دائماً ما كان يشتري إسطوانات أستور

بياتسولا، كان ذلك الرجل يلعب الأكورديون ببراعةٍ شديدة،

تمني زوجي دائماً أن يذهب إلي باريس لكي يحضر حفلاً له هناك

..أنت تعرف أن التانجو ظهر في الأرجنتين، و لكن باريس

كانت أول الدول التي إنتشر بها جنون التانجو و من ثَمَّ إنتقلت

كالعدوي إلي لندن و برلين و غيرها من عواصم العالم.

أغلقت عينيها مبتسمة في شغف مُكَمِّلة :

• دائماً ما كان يحلم بأننا نرقص التانجو سوياً تحت برج ايفل علي

أنغام ذلك الأكورديون الفرنسي ..

أطلقت تهيدةً حارةً ثُمَّ فتحت عينها ببطء و كأنها تأبى الخروج من ذلك
الحلم ..

• عزيز ..كم أشتاق إليه .. طال الفراق و لم أعد أحتمل .

إبتسم لها يوسف قائلاً :

• حتماً نفتقد ذلك النوع من الحب في هذا الزمان ..

• و لكنك تحب !

قالتها بابتسامة ماكرة ..

نهض يوسف آخذاً مقعده معه، و وضعه في مقابل مكتبها و جلس
يسألها مستغرباً :

• نعم و لكن كيف عرفتِ؟

• العاشق تفضحه عيناه

إبتسم يوسف و أغلق عينيه في نجل ..

إستطردت قائلةً :

• أهي جميلة ؟

• هي فينوس

• أهي رقيقة ؟

- مثل فراشة.
 - أهي بريئة؟
 - كطفل رضيع.
 - أهي من تقف ببابي الآن؟
- قالتها مبتسمة و هي تنظر خلف يوسف، إستدار يوسف في سرعة و وقع بصره علي مي التي كانت تقف مستندةً الي الباب عاقدةً ساعديها تنظر له في إعجاب يختلجه الخجل .
- منذ متي و أنتِ هنا؟
- قالها يوسف في مزيج من الدهشة و الخجل، فردّت عليه رافعة حاجبها الأيسر في تحفز :
- منذ أن كنت فينوس
 - يا إلهي !
- قالها و خبأ عينيه بيده في مجمل، ثمّ إستدار ليوواجه الست كاترين ناظراً لها نظرة ذات مغزي .
- هي امرأة و أنا امرأة ..و تحب النساء أن يساعدن بعضهن ..أنت تعرف ذلك، قالتها الست كاترين في براءةٍ مطلقة .

إبتسمت لها مي شاكرةً ثُمَّ صاحت في يوسف :

• هيا بنا ! ليس لدينا الكثير من الوقت !

• هيا بنا إلي أين ؟

• ((زوّغت)) من المدرسة و أماننا ساعتين حتي ميعاد الخروج !

هذه هي المفاجأة التي كنت أخبرك عنها منذ مدة ..هيا !

نهض يوسف في سرعه و كاد أن يغادر و لكنه تذكر أنه لم يدفع ما عليه
لست كاترينا فوضع يده في جيبه في إرتباك و لكن الست كاترينا إبتسمت
له قائلة :

• بعدين ..بعدين ! ..هيا أسرع !

حيّاها ثم غادر السير الي الخارج ..واضعاً يده في يد مي حتي تشابكت
أصابعهما في جزل لطيف، غادرا البناية وأنغام التانجو تتبعهما في شغف
و فضول..تريد أن تراقص قلبي تلکما العاشقين ..تتسلل إلي مسامعهما
فيذوبان عشقاً في روحهما، و كأنّ تلك الموسيقى تحولت لحظتها إلي
كيوبيد إخترق سهمه قلبيهما بكل رقة .

لم يكن للإثنين وجهةً معينة، كانا يسيران و حسب في الشوارع ..كانت
خطواتهما أقرب للطيران، كمن يمشي علي سحاب، إنطلقا في شوارع

الأسكندرية، يحفران ذكرياتهما في كل مكان، و يتركان شيئاً يشهد علي حكايتهما في كل شبرٍ من شوارعها .. أمام تلك الفاترينة تبادلًا كلمة أحبك و فوق ذلك الرصيف ألقى هو مُزحة ضحكت هي عليها، و في ظل تلك الشجرة أمالت رأسها علي كتفه، و عند تلك النافورة طبع قبلةً علي يديها أما تلك السيارة فقد نالت نصيبها منهما بقلبٍ مرسوم بأصابعهما علي زجاجها الخلفي، و بداخله الأحرف الأولى من إسميهما باللغة الانجليزية و كان لبحر الإسكندرية النصيب الأكبر من إرثهما، فما يمكن أن يكون شاهداً أجمل أو أروع علي حكايتهما غيره ..؟

فكم بيوتٍ من رمالٍ بناها العاشقون علي شواطئه، و كم من قلوبٍ رُسمت علي رماله، كم من أحضانٍ دافئةٍ باركتها سماؤه و أننت عليها، و كم من أقدامٍ حافيةٍ داعبتها أمواجه الحانية المرة تلو المرة، و كأنَّ كل تلك الأشياء فُطر عليها العاشقون في كل العالم، كلما كانوا علي شاطئء أحد البحار أو المحيطات فعلوها دون معرفة مسبقة أو تلقينٍ من أحد، و هكذا كان حال تلك العاشقين الصغيرين، و هكذا أمضيا من عمرهما ساعتين في الجنة..

إشتدت العواصف في آخر يوم من أيام يناير، و كأنها تُنذر بيومٍ عصيبٍ ينتظر الجميع، و لم يعلم أحد ما يخبئه القدر في جعبته يومها، في تمام السابعة صباحاً كان يوسف ينتظر كعادته أمام المتحف.. لا يهتم بتلك

العواصف..تحمله النشوة إلى عالم آخر غير عالمنا، كان يفكر في ذلك الحلم الوردي الذي عاشه منذ يومين، حينما كان في الجنة، كل ما يعرفه عن الحب كان مجرد خيالات، و لكن منذ يومين، يومين فقط، إلتحق بمدرسة الحب و تخرج منها بدرجة إمتياز، يشعر أنَّ عطرها مازال عالقاً بكل خلية منه، وأن أطراف أناملها مازالت تلامسه في رقة، مازال يتحسس دفء أحضانها في صدره، مازال يسمع همساتها تداعب أذنيه ويرى عينيها تغازل عينيهِ، كلماتها لازالت تلعب علي أوتار قلبه أعذب الألحان، أخرجه رنين هاتفه المحمول من كل تلك المشاعر التي إجتاحتته..

كانت هي ...رد مسرعاً :

• آلو..

• آلو ..يوسف..أنا...

قالتها بصوت متحشرج و كأنَّ الكلمات تأتي أن تخرج من فمها

• مي ..خير؟

• لن أستطيع القدوم اليوم ..

• هل تشعرين بتعب ؟ ألم نتحدث منذ ساعة و كنتِ علي ما يرام؟

• ليس الأمر كذلك، سأشرح لك لاحقاً، سأتصل بك بعد قليل

يوسف..أحبك...

و((كليك)) أنهت المكالمة ..

جنّ جنون يوسف كليا، إتصل بها فلم ترد ..مرة بعد مرة ، و بعد عشرات
المرات، وجد الهاتف مغلقاً، لا يدري ماذا يفعل، هو لا يعرف حتي أياً
من صديقاتها، هل يذهب إلي بيتها ..لا، سوف يسبب لها أذىً أكبر..
قالت إنها ستتصل بعد قليل..إذن ليبدأ و ينتظر، مرّت الدقائق ثقيلة
علي نفسه، و إشتدت تلك العواصف عليه، فقّرر أن يذهب إلي البناية
كما كان من المقرر أن يفعل في الأساس، إتّجه الي البناية و أسواط الألم و
الشك تجلد قلبه، وصل إلي البناية و كان علي وشك الدخول حينما تناهت
الي مسامعه وقع أقدام كثيرة و ضوضاء و أصوات كثير من الأشخاص
بالداخل..لقد جاء مبكراً ..مبكراً حتي عن العادة، فما كل تلك الأصوات؟
حينما دلف الي البناية وقع بصره علي ذلك المشهد الذي لن ينساه ما أبداً
ما حيا، كانت الدماء تغطي المساحة ما بين السيير و دكان عم حسين،
و حول بركة الدم تلك تجمهر عدد من الأشخاص، شرطيون و جنود و
عدد من المخبرين، و بعض من يرتدون الملابس الرسمية، و في آخر الرواق
كانت تجلس الست كاترينا علي مقعد ترتسم علي ملامحها علامات الخوف
و الدهول، يقف بجانبها عم حسين ينظر إلي بركة الدم ضارباً كفاً بكفٍ و
هو يُحوّل و يستغفر، إقترب يوسف متجهاً الي الست كاترينا و عم حسين
..و لكن أوقفه أحد الجنود :

• ممنوع يا أفندي !

• أنا قريب الست كاترينا

قالها يوسف فسمح له الجندي بالمرور ماطاً شفتيه في شفقة، إقترب يوسف من عم حسين هامساً :

• حصل إيه ؟

نظر له عم حسين دون رد، كاد أن يكرّر سؤاله مرةً ثانية حينما وجد صوتاً يقاطعه :

• لو سمحت يا أستاذ، هكلم الست كاترينا ..

استدار يوسف ليجد أحد ضباط الشرطة من خلفه

• ست كاترينا .. إعترف إبنك منذ قليل في التحقيقات الأولية بما حدث.

رفعت الست كاترينا عينيها إليه باكيةً

إستطرد الضابط قائلاً :

• إبنك جاء منذ ما يقرب من ساعتين في الخامسة فجراً لتخريب

المحل، بهدف الانتقام منك كما يزعم، بدأ يحاول فتح القفل و لكن يبدو أن القفل لم يستجب لمحاولاته .

• طبعاً، فقد إستبدلته منذ يومين .

قالتها بصوت يكاد يكون مسموعاً ..

إستطرد الضابط قائلاً :

• و لم يكفّ إبنك عن محاولة فتح القفل، حينما رآه الشاويش النوباتجي فهرول مسرعاً للإمساك به، و بالطبع حاول إبنك الهرب فأخرج الشاويش طبنجته لتهديده و لكنه أصرّعلي الهروب فتعثر وأمسك به الشاويش و وسط مقاومة من إبنك، ضغط علي زناد مسدس الشاويش فانطلقت رصاصة أودت بحياة ذلك المسكين في الحال، عموماً ..حاولي أن توكلي لإبنك محامياً في أقرب وقت.

ما أن انتهى الضابط مما قال حتي أجهشت الست كاترينا في البكاء، فتركها و مضى صائحاً في عدد من الجنود :

• خلصونا ..خلوا المولد ده يتنفض بقي !

مرّت الدقائق و يوسف و عم حسين يقفان بجانب الست كاترينا التي لم تتوقف لحظة عن البكاء، إنتفض يوسف مفزوعاً ثم أمسك ذراع عم حسين متسائلاً :

• هو بدر فين ؟

• والله ما أعرف يا بني .

• أوعي يكون !

• الله أعلم ..ربنا يستر.

قاطعهما رنين هاتف عم حسين فاستأذن مبتعداً لكي يرد..

• آلو، أيوة يا سمير ، بجد ! نجحت يا واد ! ألف حمد و شكر
ليك يارب، الحلاوة ؟ لما أشوفك بس، ليك أكبر حلاوة، يلا مع
السلامة يا ولا ، مبروك عليك.

عاد عم حسين و هو يحاول اخفاء الفرحة التي إرتسمت رغماً عنه علي
ملامحه.

• معلش مُضطر أستاذن أنا، ورايا مشوار ضروري يا جماعة.

ثُمَّ مال هامساً ليوسف :

• سي يوسف ..خلي بالك منها، و إبقى وصلها بيتها.

• حاضر يا عم حسين

غادر عم حسين البناية تاركاً وراءه يوسف في ذهوله و الست كاترين في
بكائها، و بركة الدم و ما حولها من ضباط و جنود، غادر و الفرحة بدأت
تحتل ملامحه في وحشية.

• الحمد لله الواد نجح و هخلص م الشغلانة النجسة دي ..! ربنا
إستجاب لدعايا و تاب عليا أخيراً.

بعد ربع ساعة من السير علي الأقدام، وصل عم حسين الي وجهته أخيراً
كان محلاً كبيراً تعلوه تلك اللافتة المُزينة بالمصباح التي تضيء بألوان
مختلفة و في الوسط تماماً تسكن كلمتين، ((كباريه الليالي)) .. تلفت يميناَ
ويساراً ثُمَّ دلف إلي المكان في سرعة، وما أن دخل حتي إتجه إلي أحد
الأشخاص الواقفين.

• عصام.

كان عصام أحد الفتوات الموجودين بالمكان، كان شاباً طويلاً عريض
المنكبين من ذوي الأجساد المنفوخة و الرأس الأصلع.

• خير !

• خير إن شاء الله، فين صالح بيه ؟

• جوة في أوضة المكتب.

• طيب تمام .. شكراً يا سيدي.

تركه عم حسين ليتجه الي غرفة مكتب صالح بيه ، صاحب المكان.

كان يصارع أفكاره حينما رنَّ ذلك الصوت من خلفه :

• هيميميم.. إزيك يا سحس، أمال جاي بدري النهاردة يعني، مش

عادتك!

كان ذلك صوت فاتن إحدى الفتيات اللاتي تعملن بالمكان، ترتدي بلوزة ضيقة تُبرز مفاتها في وحشية صارخة و تتورة قصيرة بالكاد تغطي عورتها، يتحرك فكها في جنون تام مُلوّكاً تلك العلكة كبيرة الحجم، سألتها و هي تربت علي شعرها المصبوغ بألوان رخيصة .. أجابها بإشمئزاز :

- تمام يا فاتن
- ((فاتشن)) ده ايه يا راجل، قلت لك ميت مرة اسمي فوفو!
- يا ستي ! فاتن.. فوفو، أنا خلاص هرتاح من خلقتك إنتِ و كل اللي هنا !
- جاتك نصيبة ! عكرت مزاجي الهي يعكر مزاجك عالصبح !
- غوري يا شيخة بقي !

أزاحها من طريقه متجهاً الي مكتب صالح بيه، دقَّ علي الباب مرتين ثُمَّ فتح الباب و دخل، كان ذلك ال ((صالح بيه)) رجلاً قصيراً ضئيل الحجم أصلع نسبياً، أشيب الفودين، له شارب كث، يرتدي بدلة بيضاء وربطة عنقٍ حمراء.

- (سلاموا عليكموا) يا صالح بيه .
- و عليكموا ياخويا !

- كنت عايز حضرتك في حاجة كدة
- خير عالصبح !
- كل خير إن شاء الله
- أنا الواد إبني خد الدبلوم النهاردة و ..
- آه عايز حلاوته يعني ؟
- لا يا بيه تسلم .. هو خلاص هخليه يشوف أي شغلانة عشان يساعديني في مصاريف البيت و ..
- قاطعه صالح و هو يداعب شاربه في جدية مصطنعة قائلاً :
- اااااه، عايز تشغله معنا هنا ؟ و ماله يا سحس !إبقي هاته و نشوف له أي شغلانة.
- لا يا بيه، ده أنا جاي اقوللك هسيب المكان، تقولي أشغل إبني هنا !
- إنت مستعر من المكان إالي بيأكلك عيش يا سحس ؟ إخص !
- يا بيه مش مسألة مستعر بس، بس ضميري بيأبني كل ما كل لقمة فلوسها من المكان ده.
- و ضميرك لسة فاكر يصحي بعد ١٠ سنين ؟
- قالها و انفجر ضاحكاً ثم قال له :

• خلاص روح كلم بسيوني ما إنت عارف إنه مدير الصالة وهو المسؤول عن الحاجات دي، و خد بقية فلوسك و إتكل، بس ما ترجعش تعيط !

• متشكر يا صالح بيه

لم يرد عليه صالح و إنمّا أشار له بيديه بالرحيل، خرج عم حسين باحثاً عن بسيوني في الصالة، تلفت بعينه فلم يجده، فاستوقف أحد الجارسات المازن.

• عزت..بقول لك إيه، ما شفتش بسيوني ؟

• بسيوني تلاقيه جوه عند شاكيناز.

• ياربى!طيب متشكر يا عزت .

إتجه عم حسين إلى غرفة شاكيناز و دقّ مرّتين فأثاه ردها :
• أدخل

دلف إلى الغرفة فوجد شاكيناز تجلس علي مقعدٍ بمواجهة (التسيحة) و بجانبها يقف رجل يلبس بنطالاً ضيقاً و قميصاً مُشجراً مفتوح الصدر، يربط شعره ((كحكة)) خلف رأسه، كان ذلك بسيوني!

• بسيوني، أنا كنت عند صالح بيه دلوقتي في مكتبه و قلت له إني هسيب الشغل و وافق وقاللي أكلمك عشان أقوللك تعمل

حسابك و تديني بقية فلوسي عشان أمشي .

• تمشي ليه يا سحس، ده إنت بتشتغل شغلانة بتأكلك الشهد و ما بتعملش حاجة .

قالها بسيوني بطريقة لا تناسب مع رجولته المزعومة .

• أهو النصيب بقي يا بسيوني، خلصني عشان أمشي .

• همشيك بس علي شرط !

• شرط ! شرط إيه ؟

• هتستلم الأوردر دلوقتي بتاع بلبل

• طب ما يستلمه بلبل !

• ماهو ما جاش ياخويا !

• يا سيدي و أنا مالي، ما تتصرفوا، إفرض أنا ما كنتش هنا !

• بس إنت هنا .

قاطعتها شاكيناز قائلةً :

• جري إيه يا سحس ! نمرتي كان خمس دقائق، و مش عايزة قلق

الله لا يسيئك، ما تعملش فيها شريف علي آخر نمرة، بطلوا

أفورة، هي إلي جابتنا لورا !

قالتها مُنهيّةً الجملة بضحكة رقيقة عالية،

- خلاص ! ..خلصوني..
- طب روح إلبس لبس الشغل و إجهز يلا ! عقبال ما شاكي تجهز
- طيب

بعد خمس دقائق فُتحت ستارة المسرح و خرج بسيوني إلى الجمهور يمسك ميكروفوناً ..خطب بإصبعه عليه عدة مرات ثُمَّ نظر إلى الجمهور.

- و الآن ..مع فنانة الإستعراض، مع نجمة الرقص الشرقي، مع جميلة الجميلات و معبودة الجماهير ، الراقصة، شاكيينااااااااااا

إنطلق الجمهور في تصفيق حاد مصحوباً بالصفيق و صيحات الإعجاب ..

ثُمَّ ظهرت شاكيनाز ببدلة رقص ساخنة، و بدأت في الرقص، بعد مرور

دقيقتين نهض أحد الأشخاص متجهاً إليها و بدأ في إلقاء بعض العملات

النقدية عليها، من فئة المئة و المئتين جنيه، ثُمَّ تبعه شخص آخر يرتدي

ملابس خليجية، و أخذ يرمي عليها الدولارات من فئة المئة دولار.

كان بسيوني يقف علي جانب المسرح فأشار بيده إلي عم حسين إشارةً

متفقاً عليها، فأتجه عم حسين ناحية شاكيناز و جثي علي ركبتيه و أخذ

في التقاط نقود النقطة، آلاف الجنيهات و الدولارات التي تنهال عليها ،
تساقط أمامها، وهو يجبو بين قدميها و يلتقطها ورقة تلو الأخرى، مرّت
الدقائق ثقيلة عليه و هو مازال جاثياً يلتقط الأموال، حتي إنتهت شاكي
من رقصتها و حيّت الجمهور و غادرت المسرح في خفةٍ، نهض هو أخيراً
و إتجه إلي بسيوني و أعطاه النقود التي إلتقطها و أخذ يمسح العرق الذي
يتصبّب علي جبينه منتظراً نصيبه من المال، أخذ بسيوني يعد الأموال
في بطءٍ شديدٍ، ثُمَّ أخرج عدة ورقات نقدية و أعطاها لعم حسين .

• ٣٠٠ جنيه اهم ٢٥٠٠ كانوا ليك و ٥٠ جنيه دلوقتي، إخلع بقي..آه
و ما تنساش تسلم لبس الشغل .

ثُمَّ إستدار مبتعداً و هو يعدّ الأموال من جديد مُتمتاً :

• عالم فقر غاوية نكد !

بعد أن سأم عم حسين ملابس العمل، ألقى نظرةً أخيرة علي ذلك المسرح
، و علي الصالة و ما بها من زبائن سكارى و جارسونات و فتيات ليل و
فتوات، ثُمَّ إستدار ليغادر المكان، حيناً رنّ هاتفه المحمول .

• ألو

• أيوة يا حسين

- إيه يا ولّيتة عايزة إيه عالصبح
- أنا تعبت من ييجي ساعتين كدة، و ودّوني المستشفى
- مستشفى، يا ساتر يارب، مالك فيه إيه خير
- كل خير يا حاج، هو بس أنا.. أنا عملت أشعة.. و طلعت حامل ، حامل في توأم يا سي حسين.
- كان وقع الكلمة عليه كالصاعقة، جعلت قلبه يتمزق بشدة ، و ذلك الألم يحتاج كتفه الأيسر، كان يشعر بدوار ثقيل و بدأت الدنيا تظلم من حوله و إختلّطت عليه الأصوات التي يسمعها حوله.
- <<يا حاج ..رُد عليّا يا حاج >>
- <<إزازة ويسكي يابني !>>
- << أنا باخد ٣٠٠ بس عشان خاطرك هخليهم ٢٥٠ >>
- <<الحساب ٢٤٠٠ جنيه يا فندم>>
- <<عليا الطلاق إنتي عسلية ! >>
- <<عسلية >>
- <<عسلية >>

<<عسلية ..سودانية ..حمصية ..كل حاجة بجنيه..>>

كان ذلك نداء أحد الباعة الجائلين في إحدى عربات الدرجة الثالثة من

قطار الصعيد

• تاخدا يا دفعة ؟

• متشكر

قالها بدر بلهجة متأففة، ثم نادي علي الكسري المار بجانبه

• يا أسطي ..يا أسطي، إحنا فين دلوقت ؟

ردَّ عليه الكسري ناظراً إلي خارج نافذة القطار :

• يعني بتاع ٥ دقائق و ندخل أسيوط إن شاء الله

إرتج قلب بدر بين ضلوعه، لم يتبق إلا دقائق و يري والدته.

كان يعرف أنه فعل كارثة و لابد أنهم يبحثون عنه الآن ..

يعرف أنه سييري أياماً سوداء ..و لكنه لا يهتم ..هو فقط يريد أن يودّع أمه

قبل أن ينتهي أجلها ..

لقد طلبت أن تراه ..و لابد أن يلبي نداءها ..مهما كانت النتائج ..

بدأ القطار في التهادي، و بدأت سرعته تقل تدريجياً ..

لم ينتظر بدر حتي يتوقف القطار تماما، و لكنه قفز خارجه قبل ذلك بكثير ، و سقط أرضا متمرغاً بالتراب و أخذ جسده يتقلب عدة مرات حتي إستقر أخيراً..وسط صراخ السيدات و صياح بعض الرجال.

• <<يا بن المجنونة>>

• <<يا لهوي>>

لم يهتم لكل ذلك بل نهض من سقطته و أخذ يعدو تجاه بيته بكل ما فيه من قوة، بعد عشر دقائق من العدو المتواصل، توقّف أمام بيته، إنَّجِه إلى الباب و أخذ يدق عليه بقوة، مرة تلو المرة و لم يرَدْ أحد، رجع خطوتين إلى الوراء و إستعد لكسر الباب و

• إستني ..محدث جوة.

إستدار ليجده مرزوق، صبي في العاشرة من عمره، كان يمسك بأحد فروع القصب و يمضمضها في إستمتاع.

• أُمال هُما فين يا مرزوق إنطق ..أمي فين و أختي !

• أمك تعيش إنت يا بدر، و أختك بتحضر الدفنة في التُّرب.

لم يستطع بدر أن يتمالك نفسه فأمسك مرزوق من ياقة جلبابه قائلاً بعينين جاحظتين :

- إِنَّتْ بتقول إيه !
- و المصحف زي ما بقوللك كدة هو .
- لم ينتظر بدر أكثر من ذلك و أخذ يعدو من جديد بإتجاه مقابر البلدة،
وصل بعد دقائق فوجد تجمهراً صغيراً علي أحد المقابر و أحدهم يقرأ جزءاً
من سورة البقرة بصوتٍ رديء، مَيِّز كثيراً من الوجوه الواقفة هناك،
وإخترق الحشد الواقف ناقلاً بصره بين الجميع حتي وقعت عيناه علي
أخته، ثم أخذ في الصراخ .
- أمي ماتت يا آمنة ! ..أمي ماتت ! ..ماتت قبل ما تشوفني ولا
أشوفها ! أمي ماتت ! مكانتش قادرة تستناني الكام ساعة دول !
ثُمَّ جثا علي ركبتيه أمام قبر والدته و الدموع تتساقط من عينيه .
- مستعجلة علي إيه ياما ! مستعجلة علي إيه ! أنا جيت لِك
أهو، عارف إني إتأخرت، منهم لله الكفرة، سامحيني ياما
قال كلماته و هو يفرك تراب قبرها و يلطّخ به وجهه..فأسرع البعض
بإمساكه و أزاحوه بعيداً
- <<ما يصحش كدة يابني ..وَجِدَ اللَّهُ >>
- << إِنَّتْ إنسان مؤمن ..و ده أجلها >>

ثُمَّ تهادي إلي مسامعه صوت سارينة إحدي سيارات الشرطة تتوقف في المكان، ثُمَّ صوت وقع بعض الأقدام خلفه فأغمض عينيهِ وهو يسمع آخر جملة تَوَقَّع أن يسمعها ضده كجندي شرطة :

• حُط الكلابشات في إيديهِ يا عسكري!!

• أرجوك إهدئي يا سيدتي، جميع أفراد الشرطة غادروا، و ولم يتبق غيرنا، ليس من الجيد أن تظلي جالسة هنا، هيا .. سأقوم بمرافقتك إلي البيت.

قالها يوسف موجهاً حديثه إلي الست كاترينا و هو يمدّ يده إليها

• لا .. سوف أذهب بمفردتي.

• و لكن يا سيدتي.

• سأذهب بمفردتي !!

قالتها بعناد العجائز المعروف ..

• حسناً .. لما لا تتصلي بإبنتك لتأتي إليك؟

• هل أنت مجنون ! أتريدها أن تري كل تلك الفوضى و المستيريا

و الدم !

قالتها بعصبية و عدائية شديد جعلت يوسف ينجل من نفسه، فهي لم تحدثه أبداً بمثل هذه الطريقة من قبل.

• آسف يا سيدتي.

لم تردّ عليه و إنما نهضت مغادرة و هي تُتمتم بكلماتٍ غير مترابطة .

• لن أفتحه مطلقاً..شؤم..محل شؤم...عزيز..مولودين يا عزيز

..باريس..لنرقص ..أنا قادمة ..أشعر بالبرد يا عزيز .. لم يتبق الكثير

يا عزيز...قلت لك أنه شؤم..الدم يا عزيز..عزيز..

تابعها يوسف بعينه حتى إختفت مغادرةً البناية و هي مازالت تُتمتم بكلماتٍ غير مفهومة، ثُمَّ ترك جسده يسقط علي ذلك المقعد غير مصدقٍ لما يري.

أخرجه رنين هاتفه من صداد أفكاره.

كان رقماً غريباً ..

• آلو

• آلو..يوسف ..

• مي ! أين أنتِ ، و ما هذا الرقم الغريب.

• أنا ..

قالتها و هي تكتم نوبة بكاءٍ جديدة ..

• ما بك يا مي ..!؟

• أنا علي إحدي الطائرات المتجهة الي برلين .

• ماذا ! برلين ، كيف !

• حذّرْتُكَ كثيراً بشأن خروجنا سوياً و لكنك لم تصدقني ..لقد عرف يا يوسف .

• كيف !

• أخبروه أنني غادرت المدرسة مبكراً، واجهني، و تحت الضغط اعترفت بكل شيء،

• و لكن ..أيعاقبك بالسفر !

• نعم، قرّر أن يرسلني لأمكث عند عمتي بألمانيا فترةً من الوقت .

• آه ..حتى تتمكني من نسياني .

• إذاً فأساظل عالقةً هناك الي الأبد .

قالتها و إنهارت في البكاء

• مي ..أنا ..

قلها بصوت متحشرح يغالبه البكاء

• يوسف..أرجوك، يجب أن أنهي المكالمه، هذا ليس هاتفي
..إستعرتة من إحدي السيدات بالطائرة، يوسف..أحبك.. (كليك)

نظر يوسف إلي هاتفه غير مصدق أنها كانت آخر مكالمه بينه و بينها، أنه
لن يسمع صوتها، لن يراها، لن يلمسها مجدداً!
كثيرهً هي الأشياء التي يمكن أن تحدث في يومين فقط، منذُ يومين كان
علي بعد خطوةٍ من الجنة، بل كان في الجنة.

و الآن، هو في قاع الجحيم، في أدنى طبقات الجحيم!

نهض من مقعده بعينين ذاهلتين تغرقهما الدموع، سار ببطءٍ مغادراً
البنية، تاركاً وراءه بقايا الدم المتناثر علي الأرض، تتراقص حوله ذكريات
و أشباح ذلك المكان ..

عم حسين و الست كاترينا و بدر، و حتي مي، كانت هي الأخرى حبيسة
ذكريات ذلك المكان.

غادر تاركاً صغير الرياح يعوي في ذلك الرواق .

و كأنه ينتحب تارة علي من إنتشرت دماؤه أرضاً ..و تارةً أخرى علي من
مضوا تاركين هذا المكان كئيباً موحشاً ..

بعد خمس سنوات، في أولي نهارات يناير الشتوية، أمام ذلك المتحف...
كان يقف شابٌ في العشرينيات من عمره بصحبة فتاة تبدو في مرحلة
المراهقة ..

- لقد تأخر الوقت يا ياسين، يجب أن أمضي .
- حسناً.. سأشتاقُ إليك .
- و أنا أيضاً، لا تنتظرنني !
- سأحاول، أجبك .
- أجبك ، ألقاك لاحقاً .

ثمّ تابعها بعينه حتى إختفت داخل تلك المدرسة، و مضى إلى وجهته ..
إلى تلك البناية، دلف إليها و إتجه إلى ذلك الرواق بالتحديد، وقع بصره
على ذلك العسكري ضئيل البنية، حيّاه بعينه ثمّ إتجه إلى السير، و
قبل أن يدخل ألقى التحية على ذلك الفتى الذي يحمل ملامح عم حسين ،
دلف إلى السير و نظر إلى تلك الفتاة الجالسة على المكتب تحتسي قدحاً
من الشاي، ثمّ إبتسم لها قائلاً :

- كيف حالك يا تاليا ؟
- تمام، و أنت ؟
- بخير، ثلاث ساعاتٍ مثل كل مرة

ردت عليه بابتسامةٍ، ثم قامت بالنقر علي فأرة الحاسوب و أمالت ظهرها للخلف، حينما بدأت الموسيقى في اللعب..موسيقى التانجو، و بدأت تترددُ أصداؤها في ذلك المكان، منتشرةً في كل أنحاء الرواق، معلنةً عن بدء حكايات جديدةٍ..من حكايات يناير ..

رسائل إلى الجنة

توقفت سيارة أجرة أمام احدي البنايات القديمة التي تقع في أحد الأحياء الراقية بالقاهرة و ترجّلت منها فتاةٌ في منتصف العشرينيات، صغيرة البنية، ذات بشرةٍ خمريةٍ، ترتدي معطفاً شتوياً أسود اللون، تكاد تختفي فيه، و دلفت الي البناية و تبعها سائق السيارة حاملاً في يديه حقيبتَي سفر متوسطتي الحجم.

قابلها البواب بوجه بشوش :

• يا مرحب يا ست مريم.. منورة.. إن شاء الله تنبسطي معانا في العمارة.

ردّت عليه مريم بإبتسامة خفيفة و هي تُحاسب السائق :

• ربنا يخليك يا عم مرزوق..العمارة منورة بناسها، خد الشنط من السواق و طّلّعها فوق لو سمحت.

• عينيا يا ست هانم.

كانت شقتها في الدور الثالث و كانت البناية بأكملها تتكون من خمسة أدوار، وصلت إلي الباب فأخرج البواب المفاتيح من جيبه و أعطائها لها فتحت الباب و دلفت الي الشقة و أشارت الي البواب بوضع الحقائق قائلة :

• متشكرة قوي يا عم مرزوق

ثم أخرجت بعض الجنيهاات من حقيبتها و أعطتها له ..
فابتسم قائلاً :

• ربنا يخليك يا ست هانم، أي خدمة ثانية ؟

• آه ياريت، بص خد الورقة دي، كاتبة لك شوية حاجات تجييهالي م السوبر ماركت عشان إنت عارف التلاجة فاضية و مش نازلة تاني النهاردة و آدي الفلوس أهي..و خلي الباقي عشانك.

• حاضر يا ست هانم..بس مش هوصيك، الشقة كلها تحت أمرك، إلا الأوضة اللي عالمنور، سييها مقفولة، إنت عارفة الحاج صلاح منبني عالكلام ده !

• ماشي يا عم مرزوق، ماتخافش، بس أنا برضه معرفتش إيه السبب!

رد عم مرزوق مُبتسماً :

• يا ااه دي حكاية ولا في الأفلام يا ست هانم، إنتِ بس إستريجي
النهاردة و بكرة إن شاء الله أحكيالك، والشقة مش محتاجة
توضيب، الحاج صلاح خلي الشغالة اللي عنده توضبها و بقت
فُل الفُل.

• آه مانا كنت لسة هسألك الشقة نضيفة إزاي كدة.

• ماشي يا ست هانم..هروح أنا أجيب لك الحاجة إن شاء الله
، نورتيينا.

• تسلم يا عم مرزوق..مع السلامة .

• سلام يا ست هانم.

أغلقت الباب وراءه و إستندت عليه و نظرت الي السقف ثُمَّ نفخت في
إرتياح ناظرة حولها و قالت في نفسها :

• أخيراً لقيت شقة و هستريح .

رَنَّ هاتفها فأخرجته من حقيبتها و ردَّت :

• آلو؟ أيوة يا نادين

• وصلت ؟

• آه من زمان يا بنتي و في الشقة دلوقتي و الحمد لله صاحب
العمارة خلي الشغالة اللي عنده توضبها، يعني أنا ماورايش أي

حاجة أعملها، ما تيجي ؟ إنتِ مش عارفة العنوان ! تعالي و نطلب أكل و نقعد حبة .

- ماشي، هلبس و أجيلك، مش عايزة حاجة و أنا جاية ؟
- لا يا حبيبتي، بس بسرعه، عشان أنا هموت من الجوع.
- حاضر، يلا سلام.

دخلت مريم غرفتها و أخذت تُفرغ حقائبها في دولاب الملابس بغرفتها و ما أن قاربت علي الانتهاء حتي رنَّ جرس الباب ..فقالت بصوت مسموع :

• ده أكيد عم مرزوق!

خرجت لتفتح الباب فوجدتها صديقتها نادين ..سلمت عليها و قالت باستغراب :

- ده انا بحسبك عم مرزوق، ده إنتِ جيتِ بسرعه قوي!
- عم مرزوق مين ؟
- البواب، بعته يجيب لي شوية حاجات و ماجاش من ساعتها وعامل فيها مطيع و طيب و يا ست هانم و نوريتنا.

ردت نادين ضاحكة :

- إنتِ لسة شفتِ حاجة، كلهم كدة يا بنتي ، بصي انا جبت أكل معايا، من مطعم حلو قوي كان علي سكتي.

• طيب تمام، عشان أنا مش هقدر أجوع أكثر من كدة.

جلستا الاثنينان لتأكلا ثُمَّ بدأت نادين في الحديث :

• بس إنت ازاى لقيت شقة كويسة كدة في حطة حلوة و بالإيجار الحنين ده يا مريم ؟

ردت مريم عليا و هي تلوك الطعام في نهم :

• هفهمك، أصل بابا ليه واحد صاحبه سمسار عقارات، وصّاه ، فقال له عالشقة دي و كام شقة تانية، و السمسار كان وصى صاحب العمارة، و صاحب العمارة كان عايز يخلص بأي شكل..أصل الست اللي كانت في الشقة دي ماتت من أسبوع

توقفت نادين عن مضغ الأكل و نظرت الي مريم في رعب قائلة :

• ماتت !

ضحكت مريم قائلة :

• ما تخافيش يا جبانة، ماتت في المستشفى، تعبت من إسبوع ، و نقلوها عالمستشفى أول إمبراح، و ماتت النهاردة الصبح الله يرحمها، المشكلة ان صاحب العمارة وصل بيه الطمع إنه عرض الشقة للإيجار أول ما الست تعبت، إنت مُتخيلة ؟

ردّت نادين و هي تتناول قطعة من الخلل :

- الناس بقت وحشة قوي يا مريم، طب و إنتِ قاعدة لحد إمتي
ولا راجعه الإمارات تاني؟
- المفروض هشوف شغل ربنا يسهل، بس لو الدنيا اتصعبت
هضطر أرجع تاني.
- طب و مارحتيش تقعدي مع مامتك ليه؟
- و أقعد بقي مع جوز أُمي ؟ الله الغني، ده بيحسني إني بشحت
متّه.. مع إته قاعد في شقة ماما.
- ممم لا خليك هنا أحسن..طيب و الشقة دي كام أوضة ؟
- اتنين، بس فيه واحدة منهم مقفولة، و صاحب العمارة منبه عليا
ما أفتحهاش أبداً، و قُصاد كدة منزل من الإيجار.
- ردّت نادين في إستغراب :
- إشمعني يعني ؟ يكونش محبي فيها مخدرات !
- و النبي إنتِ خيالك واسع قوي، مخدرات إيه يا عبيطة إنتِ !
- قاطعتها نادين قائلة :
- ولا يمكن فيها عفاريت !
- منك لله ..مش هعرف أناام الليلة دي !

ردّت نادين بضحكة خبيثة :

- العفريت هايطلع لك بالليل يقول لك عووو!
- بس بقي يا بايخة، الله أنا بخاف، و هبات لوحدي.
- طب خلاص، بس ماتيجي نشوف الأوضة فيها إيه ؟
- ماهي مقفولة يا فالحة
- تعالي بس نجرب، يمكن الباب يطلع أي كلام

نهضت مريم من جلستها قائلة لنادين :

- هاتودينا في داهية الآخر، حسبي الله
- يلا بس ما تبقيش خوافة كدة..خليك مقدّامة
- مقدّامة ؟ جبتها منين دي
- هي جت لوحدها
- طب يلا يا لمضة، إفتحي الباب و ورينا شطارتك

حاولت نادين فتح الباب، فانفتح بدون أية مقاومة.

تبادلتا النظرات في إندهاشٍ ثُمَّ قالت مريم :

- الله ، أmaal عمالين يقولوا ما تفتحيش الباب ما تفتحيش الأوضة،
و سايبينها كدة !

ردّت نادين في حيرة :

• يمكن واثقين فيك.

رفعت مريم إحدي حاجيها قائلة :

• أو إختبار! ما بلاش يا نادين، إقفلي و نطلع.

• بطلي جُبن بقي، وولعي النور خلينا نشوف إيه الحكاية، يمكن نلاقي قتيل.

ردّت مريم في دعرٍ و هي تبلغ ريقها في صعوبة :

• قتيل !! يا نهار إسود

• آه، و عايزين يلبسوك في جريمة القتل.

• قتل ! يا نادين بس بقي أنا جتتي مش خالصة ..هموت م الرعب.

ضحكت نادين حتي أدمعت عيناها و قالت :

• ده أنا اللي هموت م الضحك..ولعي النور

ضغظت مريم علي زر الإضاءة، كانت إضاءة خافتة، و الغرفة لم تحتو علي الكثير من الأثاث، كانت غرفة مكتب، علي اليمين توجد مكتبة كبيرة بها الكثير من الكتب و المراجع، و علي اليسار نافذة مطلة علي المنور، وفي الوسط يقبع مكتب خشبي كبير، يعود الي السبعينيات و عليه أباجورة

قديمة و كومة كبيرة مُتراصة من الأوراق المرتبة بعناية.

قالت نادين :

• أيوه و بعدين ؟ إيه المشكلة في الأوضة بقي، لا فيه قتيل ولا عفريت ولا مخدرات يعني

لم تردّ مريم بل إتجهت إلي المكتب و كأنّها مخدرة أو منومة مغناطيسياً إلي حيث ترقد الأوراق و كأن الأوراق تُناديها، جلست علي كرسي المكتب..و أضاءت مصباح الأماجورة و ذهبت بيدها الي كومة الأوراق و أخذت أول ورقة و راحت تقرأ بصوت هاديء :

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة - الأحد- السابع من ديسمبر 1969، هذه أول رسائلي اليك ..منذ غيابك عني، أعرف أنّك لم ترحل عن عالمنا ..و لم تفارقهُ..أعرف أنّك مازلتُ موجوداً هنا بيننا، و سوف تأتي في يوم ما ،بعد أسبوع..بعد شهر..أو بعد سنوات، لن أسأم و لن أمل الإنتظار..و لن أستسلم أبداً للحياة، و لن أسلم قلبي ولا جسدي لغيرك، يعتقدون أنني قد جنت، وأن لوته قد أطاحت بعقلي، يعتقدون أنني لم أستوعب بعد أنك قد

مِتْ، يضربون كفاً بكفٍ..و يُصمِّصون شفاههم في حسرةٍ علي حالي، و لكنني لم أجن و لست حزينة..أنا لم أبكِ و لن أبكي عليك..لأنني أعرف أنك حيٌّ تُرزق..وأنك سوف تعود..مهما تأخرت ستعود إليّ، سوف أكتب إليك رسالةً كل أسبوع حتي تأتي..و حتي تراك عيناى ثانياً.

و حتي تكتمل قصة حبنا..أنا قيد الانتظار.

حبيبتيك كاريما

صمتت مريم للحظات و أخذت تعيد ما قرأت في سِرّها في ذهولٍ، و نادين تعبت في شعرها و تنظر اليها في دهشة، ثم كسرت نادين حاجز الصمت قائلةً :

• طب إيه ؟ هاتقري الجواب كام مرة ؟

ردّت مريم في شرود :

• أنا بس مش مستوعبة، شايفة الورق ده كله ؟

أجابتها نادين في بلاهة : آه

• أهى دي كلها جوابات بتوارىخ مختلفة، مبعوته كل أسبوع من سنة

٦٩ لحد يوم الحد اللي فات، يعني من يومين..إحنا في سنة ٩٩،

بقالها ثلاثين سنة بتبعث له جوابات كل إسبوع يا نادين !

- أكيد بتهزري ! مين اللي هايفضل يحب حد كل ده، و يفتكره كان و بيعت له جواب كل أسبوع، والمفروض إنه ميت ؟
- بالظبط دي مش بتحصل حتي في الأفلام، انا عايزة أقرأ كل الجوابات دي
- إنت عارفة جوابات ثلاثين سنة يعني قد إيه يا مريم !
- رفعت مريم عينها إلي السماء و أخذت تحسب ثم أجابت :
- مممم حوالي ١٥٠٠ جواب ؟
- تقريباً، هاتقعدني تمقني عينك في كل الجوابات دي ! كبري دماغك، تعالي نتفرج عالتيلفزيون ولا نعمل أي حاجة.
- لأ، أنا هعمل فنجان قهوة و أقعد أقراهم، لازم أفهم حصل إيه و إيه حكاية الجوابات دي، و بعدين المفروض دي كانت شقة الست، مش الراجل، الجوابات دي بتعمل هنا إيه ؟ ولا ما إتبعتنش أصلاً..ولا صاحبة الشقة مش صاحبة الجوابات، أنا لازم انا دي علي....
- رنّ جرس الباب فقالت مريم :

- أهو جه مرزوق..تعالي نطلع و نقفل الأوضة و نفهم منه إيه الحكاية

خرجتا الإثنان وأغلقتا الباب بإحكام، إتجهت مريم لتفتح باب المنزل

ووجدت مرزوق...

- معلش يا ست هانم إتاخرت عليك، بس كنت بصلي العشا، وبتعشي و جبت لك ال..

قاطعته مريم قائلةً :

- إدخل يا عم مرزوق، حط الحاجات عندك وتعالى أقعد و قوللي إيه بقي حكاية صاحبة الشقة دي ؟

لم يحتاج عم مرزوق إلي ذكاءٍ كثير لكي يفهم أنهما فتحتا الغرفة، فمُجرد لمحة خاطفة من عينيه رأي منها أنهما نسيتا إطفاء مصباح الأباجورة بالغرفة، فإبتسم إبتسامة خفيفة، و قال لمريم في إستسلام :

- طيب هحكيلك يا ست هانم..

جلسا ثلاثتهم في الصالون و أخذ عم مرزوق يُقص عليهما الحكاية :

- الشقة دي كان ساكن فيها عيله بحالها ..الأستاذ نجيب و الست فائزة..و بنتهم، أجزوا الشقة دي في أواخر سنة ٦٩، كانوا قاعدين الأول في شقة في السيدة زينب و بنتهم كانت مخطوبة لإبن الجيران في الشقة اللي قصادهم علي طول، الباب في الباب ..بس نقلوا هنا بعد ما حصل إلی حصل .

قاطعته مريم من جديد :

• إيه اللي حصل ؟

ردّ عم مرزوق في انكسار :

• خطيبها ده كان إسمه شريف و كانوا بيقلوا إنه إنسان طيب قوي و جدع و ابن ناس، لما قامت الحرب راح إبتطوع في الجيش، وكان بيعت لها جوابات من عاجبة و هي كانت بترد عليه، و بعدين اتأخر أسبوع، و الثاني والثالث، و فات شهر و ماجاش منه كلام ولا حتي سلام، و الآخر جالهم الخبر المشؤوم، إنه تعيشي إنْت، الجيش ما لقاش جثته، و أعلنوا إستشهادّه.

البنت ما إستحملتش الخبر، و أعصابها تعبت، و كانت كل شوية تروح شقة جيرانهم و تفضل قاعدة في أوضته بالساعات، ولا بتاكل و لا بتشرب، لكن ما بتعيطش، ساكتة و بس، فأهلها قرروا ينقلوا خالص من هناك، عشان يحاولوا ينسوها و يخرجوها من الذكريات اللي عايشة فيها، و جم نقلوا هنا، بس برضه البنت يا عيني فضلت علي حالها ويمكن أسوأ و قررت تبعت له جوابات من تاني بس علي عنوان شقة أهله، و فضلت كل أسبوع تكتب له جواب و تبعته، و كل جواب كانت بتبعته كانت بتكتب منه نسخة تانية تخليها عندها. قاطعته مريم :

• طب ليه ؟

- كانت بتقول عشان لو الجوابات الأصلية تاهت يفضل عندها نسخة تانية توريماله لما يرجع، كان عندها أمل عجيب إنه عايش ماتش، الله يرحمها، دي بقي كانت الست كاريمان.

إستطردت مريم :

- الله يرحمها، طب و أهلها ؟
- أهلها ماتوا من عشر سنين، والدها و بعدين الست والدتها، و هي كانت بتشتغل و تصرف علي نفسها، فيه كتير حاولوا يتقدموا لها بس هي رفضت من غير مناقشة .
- مسحت مريم دمعات تنهال علي خديها و هي تقول :

• هو فيه كدة ؟

أجابها عم مرزوق :

- مفيش أبداً زي الست كاريمان، لا شفت ولا عمري هشوف.
- ماشي يا عم مرزوق، معلش تعبتك معايا، و ألف شكر علي الحاجة، روح إنت دلوقتي و لو فيه حاجة هندهلك إن شاء الله .

• ماشي يا ست مريم .. مع السلامة..

ردّت عليه مريم و نادين في نفس واحد :

• مع السلامة..

و غادر عم مرزوق و أغلق الباب وراءه..

و نظرت نادين إلي مريم قائلة :

• و بعدين بقي.. إنت بتعيطي ليه يا بنتي طيب ؟

• إنت ما سمعتيش الحكاية، عمرك شُفتِ وفاء بالشكل ده ؟ وفاء
حتي من غير أمل.

• صعب قوي لو ما كنتش سمعت بودني و شفت الجوابات بعينيا
ما كنتش صدقت بصراحة.

• معتقدش فيه ناس دلوقتي بتحب كدة .

• يا بنتي مفيش حد بيعب أصلاً!.. بصي إهدي كدة.. و حاولي
تنامي شوية، و أنا همشي دلوقتي و هبقي أكلمك بكرة نزل شوية
بكرة هايبقي الخميس و صابح جمعه إن شاء الله هبقي فاضية
ولا ورايا شغلة ولا مشغلة، ماشي ؟

• ماشي، خلي بالك من نفسك

• حاضر، و إنتِ كان، يلا سلام

• سلام

غادرت نادين، و ظلت مريم جالسةً في مكانها، مذهولةً و غير مستوعبة لما

قرأت و سمعت، وظلت علي هذا الحال نصف ساعة، ثُمَّ قررت أن تصنع
فنجاناً من القهوة و تستكملُ قراءة الرسائل، دلفت إلي الغرفة إياها و
جلست علي كرسي المكتب مرة أخرى و وضعت فنجان القهوة جانباً..و
أخذت تقرأ الرسائل الواحدة تلو الأخرى.

رسالة تلو الرسالة..و فنجان تلو الفنجان، و تمر الساعة تلو الساعة،
قاربت الساعة علي الرابعه فجراً و مازالت تقرأ الرسائل..بعينين
مجهدين، و عقل شبه ميت من كثرة التعب، و لكنها صممت علي إتمام
قراءة الرسائل، وصلت إلي تلك الرسالة التي تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة - الأحد التاسع من يوليو 1989

مرَّعشرون عاماً منذ غيابك و مازلتُ قيد الإنتظار، لم أعد أحصي
الرسائل..ولم أعد أحصي الأيام التي تمضي بدونك، في الحقيقة صار
عندي السبت مثل الأربعاء و الجمعة يشبه الثلاثاء، كل الألوان
هي الأبيض..أو بالأحرى هي الأسود، توفي كل من حولي، و أصبحت
وحيدة، وحيدة لأبشع حد، لا شئ يجعلني أطيق العيش إلا

إستعادة ذكرياتنا معاً، رغم إنها ليست بالكثيرة، ولكن يكفيني
ذكري واحدة معك..تجعلني أتحملُ سنوات، أعرف أنك ستعود..
مهما طالت الأيام..أعرف أنك مازلتَ هناك..في مكان ما، و سوف
تعود،و سنكون معاً إلي الأبد ، مازلت و سأظل قيد الإنتظار

حببتك كاريمان

كانت مريم تقرأ و تذرف الدموع، حتي ما عادت تعرف ماذا أجهد عينيها
أهو السهر أم القراءة أم البكاء، أصبحت الآن السابعة و الربع صباحاً..
ولم يبق إلا رسالة واحدة، قررت أن تستنشق القليل من الهواء، ثُمَّ تقرأها،
ذهبت الي الشرفة، وقفت ناظرة الي السماء، لا يعرف الناظر إليها هل
هي حزينة أم سعيدة أم متسائلة، أغمضت عينيها، و إستعادت في عقلها
الكثير ما قرأت في رسائل كاريمان، تساءلت ..كيف يكون الحب بهذا
القدر و كيف يكون الوفاء بلا حدود هكذا، كيف إستطاعت تلك المرأة
أن تعيش ثلاثين عاماً في إنتظار حبيبها الذي لم يأتِ و لن يأتِ، بدون
أمل حقيقي، كيف ..كيف ! طاخ طاخ طاخ..

كان الصوت لإمرأة تُنفض سجادة في الشرفة المقابلة أخرجها من تفكيرها

العميق، نظرت إلى المرأة في شيء من الإحباط، ثم عادت أدراجها إلى داخل الشقة و أغلقت باب الشرفة و ستأرها.

ذهبت بخطي ثقيلة الي غرفة المكتب، كمن هو ذاهب الي غرفة الإعدام لا تعلم لماذا، ربما هي خائفة مما ستقرأه في تلك الرسالة، وربما هي لا تريد أن تنهي تلك الحكايات التي إستمتعت بقراءتها، و ستعود إلي ذلك العالم الموحش المليء بالكراهية والحقد و الطمع و نُدرة الوفاء، أخيراً جلست الي المكتب، و أمسكت بين يديها المرتعشة بالرسالة في رقةٍ وإهتمامٍ شديدين و بدأت تقرأ.

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة - الأحد الثامن من أغسطس 1999

مرّ حتي هذه اللحظة ثلاثون عاماً كاملة، كنتُ فيها قيد الإنتظار، ولكني لم أعد بعد الآن، أنا لم أسأم..و لم أمل..و لم أستسلم، و لكنّ روعي قد سأمت من حبسها في ذلك الجسد العجوز، حان الوقت لتنال حريتها، أنا الآن مستعدةٌ للرحيل، و أعتقد أنه من الأفضل لي أن أعترف برحيلك، لأُمّني نفسي بلقائك في الناحية الأخرى، ولأول مرة منذ ثلاثين عاماً أبكي، و لا أعرف أنا أبكي

حزناً لفراقك أم فرحاً لإقتراب لقائك، و ستكون هذه آخر رسائلي إليك، و لكنني لن أرسلها، سوف تدفن معي، و تذهب معي إليك، لنقرأها سوياً، ولأعتبرنك الآن شهيداً منذ ثلاثين سنة و لأعتبرنَّ رسائلي كلها كانت رسائلًا إلي الجنة

حبيبتك كاريمان

كانت هذه الرسالة أكثر الرسائل تأثيراً في مريم عن سابقتها، برغم قصرها الشديد، فما أن وصلت لنهايتها حتي أجهشت في البكاء، و لم تستطع التوقف للحظة، حتي بللت بدموعها الرسالة، ظلت علي ذلك الحال ما يقرب من ربع الساعة، ثم بدأت تهدأ، و تتسائل بينها و بين نفسها للمرة الألف، أي حب هذا، و أي وفاء هذا، و كيف تحول أملها في لقائه في الدنيا إلي لقائه في الآخرة، كيف كانت تري تلك المرأة دائماً الخير في كل شيء حتي الموت، و كيف أحست بإقتراب مواعدها معه، وكيف كانت تري الموت نعمة، لأنه يجعلها تقترب من حبيبها الأول و الأخير، في النهاية ذهبت مريم الي سريرها و تمددت و هي تحتضن تلك الرسالة الأخيرة، و أغمضت عينيها و نامت.

كانت الساعة الثانية الا الثلث حيناً رنَّ جرس الباب، حاولت أن تقاوم نومها العميق و تستيقظ، رنَّ الجرس مرة و إثنين و ثلاثة، فأفاقت ببطءٍ من نومها.

ثُمَّ ذهبت متناقلة ناحية الباب قائلة :

• مين ؟

لم تجد رداً..أعادت الكرة مرة أخرى :

• مين ؟

هَمَّت أن تفتح الباب و لكنها وجدت مظروفاً صغيراً تحت قدميها، إنحنت و إلتقطته، لا يوجد عليه اسم المرسل..فقط تعرف أنه مرسل من القاهرة، من يا تُرى سيرسل إليها خطاب، لم يعد أحد يرسل خطابات الآن، و كيف سيرسل إليها أي شخص رسالة و قد أصبحت قاطنة في هذا العنوان بالأمس فقط، دارت هذه التساؤلات في عقلها و هي مازالت نصف نائمة، ثُمَّ إلتمعت الفكرة في عقلها، فكرة صعقتها كلياً و جعلتها تهتز في عنف، سارعت إلي فتح المظروف و إلتهمت يداها الرسالة تفتحها، و كانت كما توقعت بالظبط، سقطت جالسة علي الكرسي في ذهول و أخذت تقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة - الأربعاء الحادي عشر من أغسطس 1999

لا أعرف من أين أبدأ رسالتي، و ماذا أقول اليك، أنا حقاً لم أرحل و

لم أفارق عالمكم.. كما ظن الكل، حقاً كنت هنا في مكان ما، لم يكذب إحساسك قط، نعم عدت إليك بعد كل هذه السنوات، عدت من المجهول، لا أعلم كيف إنتظرتني كل هذه المدة، كيف لم تسأمني و لم تملي و لم تستسلمي للحياة، أو تتركي قلبك أو جسدك لغيري، حقيقةً لا أعلم كيف إحتملت كل هذا !، ولكن لتعلمي ..لست وحدك من كنت تتعذبين طيلة هذه السنوات، علي الأقل كنت تعرفين ماذا يعذبك..و تحاولين الفرار منه، أما أنا، فكانت عذاباتي كثيرةً و لا سبيل إلي الفرار منها، حقيقة الأمر أنني طيلة الثلاثين سنةً الماضية لم أكن أعرف من أنا، صحوْتُ في أحد النهارات، لأجديني في صحراءٍ لا متناهية لا أتذكر من أنا، ولا أعرف ما الذي أتى بي إلي هناك، مشيت حافي القدمين مسافات كثيرة الي أن أدمت قدماي، و سقطتُ مغشياً عليّ، وعرفت بعد ذلك أن هناك سيارة التقطتني و وجدت نفسي في إحدى مستشفيات السويس الحكومية، حاول معي الكثير من الأطباء كي أتذكر أي شيء..و لكن بلا جدوي، و حينما شفيت من جروح جسدي، تم تسريحني من المستشفى، و وجدتُ نفسي شريداً في شوارع السويس لا أعرف من أنا، و لا بحوزتي أي شيء،

عشتُ أياماً من أحلك ما يكون، أتخذُ الأرضفة مسكناً و مبيتاً لي،
أما عن الطعام فأحياناً كان المارة يتكفلون به و أحياناً آخري أضطر
للبحث عنه في صناديق القمامة.. و أتصارع أحياناً مع القطط علي
لقمة عيش ملوثة، مرّت السنوات تلو السنوات علي تلك الحال.. و
حاولت فيها البحث عن عمل، أي عمل ليكفل لي لقمة العيش،
وأحياناً كنت أعمل حمّالاً..أو كنّاساً أو عاملاً في الميناء ..أو عاملاً
في بناء العقارات، و أنام في العقار ليلاً و أستيقظ لأعمل صباحاً، و
إستطعت أن أجد لي مسكناً في النهاية في غرفة علي سطح إحدي
البنيات المتهالكة في أطراف المدينة، و بدأت في تكوين صداقات
مع سكان المنطقة، و برغم أنهم لا يعلمون من أنا، لكنّهم عاملوني
بلطفٍ و كرمٍ شديدين، وأحياناً كانت تواجهني بعض الأيام الصعبة
مع بعض الخبثاء، و لكن كانت تنتهي علي خير، أصبحت بعد ذلك
مصدر ثقة في المنطقة..و كانوا ينادونني بعم منسي، لأننا لا نعرف
لي إسمًا، و بعد ثلاثين سنة جاء ذلك اليوم إستيقظتُ في الصباح علي
صراخ النساء و صياح الرجال، و عرفت أن البناية التي أسكن بها
تتهدم، و حاولت الفرار و لكن هيهات، فجأة بدأ كل شيء يتهدم
و يتساقط من حولي ثُمَّ أظلمت الدنيا، للمرة الثانية أستيقظ في
تلك المستشفى و لكن هذه المرة حينما بدأتُ في الاستفاق، بدأت

أتذكر من أن، بعض المشاهد بدأت تتتابع في ذاكرتي، الحرب دوي المدافع من حولي صوت سيور الدبابات، أزيز الطائرات، الرصاصات تنهال عليّ من كل ناحية، ترتطم بأجساد زملائي و تختطف أرواحهم الواحد تلو الآخر، و إعتقدت أنني سأنجو الي أن اخترقت رصاصة كتفي الأيمن و أخرى إخرقت قدمي اليسري، و أخرى حفت برقبتي تذكرت كيف سقطت مغشياً عليّ..ووجدت نفسي أستيقظ علي صراخ أشخاص حولي بلغة أخرى، عرفت بعد ذلك إنها العبرية، كانوا يتحدثون بينهم بالعبرية، ثُمَّ يتحدثون معي بالمصرية الخالصة يحاولون إنتزاع أية معلومات مني بمختلف وسائل التعذيب، تذكرت كيف حاولت الهروب، و نجحت، و ظلت أسير في الصحراء أياماً حتي سَقَطْتُ بمقربة مني قذيفة كادت أن تودي بحياتي..و لكنها أودت بذاكرتي..و سقطت مغشياً عليّ..و صحت بعد ذلك ..فاقد الذاكرة تماماً، و عندما استيقظت في المستشفى للمرة الثانية تذكرت كل ذلك و كيف فقدت الذاكرة ..لم أنتظر حتي تشفي جراحي.. أتيت مسرعاً الي القاهرة..لأجد أبي و أمي قد فارقا الحياه منذ زمن بعيد، ولم يتبق إلا أخي الذي تزوج و ظل بنفس المسكن..و إحتفظ لي بكل رسائله، قرأتها كلها، و لم يغمض لي جفن حتي أنهيتها و عيناى تذرفان الدموع، و قررت أن أرد عليكِ برسالة، قبل أن آتي

إليكِ بشحمي و لحمي، ها آنذا عائِدٌ من الموت، من المجهول، صدق
إحساسك يا عزيزتي و كذبت أحاسيس كل الناس، إنتظريني، فقط
ليوم آخر، لن تكوني قيد الانتظار بعده أبداً

حبيبك شريف

إشارة مرور

كانت الساعة الثانية ظهراً من أحد أيام شهر يوليو الحارة، وكان الجو كأنه بروفة لجهم في أحد أكبر شوارع القاهرة و أكثرها إزدحاماً، أنارت الإشارة باللون الأحمر، فتوقفت السيارات، و توقف هو بسيارته، تجهم في غضب و نظر إلي عداد الإشارة، أمامه دقيقة و نصف حتي ينتهي ذلك الكابوس كان قد عاد منذ يومين فقط من إحدي دول الخليج، جاء ليقضي أجازته مع أهله و أقربائه.

وجاء يبحث عنها، عن حبيبته، إنه الآن مستعد، معه المال، معه السيارة، المهر والمنزل، و لكن هل يا تري سوف يجدها.

خرج من تفكيره، فقد كان يشعر بالعطش الشديد، أخذ يبحث عن زجاجة مياة هنا أو هناك بالسيارة، لعله يجد حتي شربة ماء.

و لكن لم يفلح.

أخذ يضرب مقود السيارة بيديه ثم أراح جبهته عليه و نفخ في ضيق، و أغمض عينيه، ثم..

((تك تك))..

كان هناك من يطرق علي زجاج نافذة السيارة، نظر ناحية الصوت في بطء و تكاسل، كان صبي صغير يبدو في العاشرة من عمره، يلبس جلباباً تشعر عندما تراه أنه من بقايا الحرب العالمية الثانية، ووجهه مكسوّ بلون أقرب إلي التراب، يحمل علي كتفه الأيمن شوالاً منتفخاً من القماش، و في يده اليسري يسك بعلبتي مناديل من الحجم الكبير المخصص للسيارات.

ينظر في آسي و يقول :

• مناديل يا بيه ..

نظر إليه للحظات في شروء..حتي أخرجه الصبي من شروده بصياحه مرة أخرى :

• يا بيه !!! مناديل يا بيه..

فابتسم و أعطاه ثمن علبة متناولاً إيّاها، و أخذ ينظر إليها ثم وضعها بجانبه في السيارة و أمال رأسه الي الخلف، لم يشتري من هذا الصبي لأنه كان بحاجة الي المناديل، فالسيارة بها علبتان جديدتان، و لم يشتري منه صدقة أو عطف عليه.

و لكن لأنّ ذلك الصبي جعله يعود بالماضي إلي الوراء .

إلي ثلاث سنوات قبل ذلك الوقت..

نفس المكان، نفس الشارع المزدحم، و هي هي نفسها تلك ((المعصرة)) علي اليمين، كان يتذكر كيف كان يصطحب حبيبته هناك، و يحتسيان معاً الخروب المثلج، أو المانجو، حسب ماتسمح به ميزانيتها.

هو نفسه ذلك المطعم الشعبي الشهير علي اليسار.

لازال يتذكر ما كانت تطلبه، شَطيْرة بطاطس بها الكثير من المايونيز، و شَطيْرة فلافل بالسلطة.

ورجع بنظره إلي ذلك الصبي، كان حينها في السابعة من عمره تقريباً.

و لكنه كان يبيع الفُل للعاشقين المارين في الشارع أو القابعين في السيارات منتظرين إخضرار إشارة المرور.

تذكر كيف كان يشتري لها عُقداً من الفُل في كل مرة يمران من ذلك الشارع الذي طالما إحتضن ذكرياتهما معاً.

ذلك الشارع الذي شهد بداية قصة حبهما، و هو أيضاً الذي شهد نهايتها..

كانت ذاكرته ترسم ذلك المشهد الدرامي أمامه.

ذلك المقهي القابع في آخر الشارع، كم يكرهه..

بكل طاولاته، و مقاعده، بكل بابٍ و نافذةٍ به، بكل من يعمل به..

حتي صوت ذلك التلفاز المعلق علي الحائط مازال عالقاً بذاكرته، كم

يكرهه هو أيضاً..

أخذ يتذكر ذلك اليوم ..

إتصلت به لتخبره أن هناك موضوعاً هاماً و أنها لابد أن تراه.

كان صوتها متحسراً و كأنه يرفض أن يخرج من حنجرتها.

شعر بالقلق، و ذهب إلى ذلك المقهى ينتظرها.

و إنتظر، و إنتظر، و إنتظر كثيراً!

و في النهاية أتت، حاول أن يستشف من عينيها ما تريد قوله، ولكنه فشل..

مرّت الدقائق و هما يتحدثان، ثم ساد الصمت بينهما للحظات..

نظرت في شروء خارج النافذة يسارها، ثمّ أطرقت بعينيها، و سمع صوت بكائها في خفوت، إنتابته قشعريرة، لم يسألها، فقد كان يعرف الاجابة مُسبقاً، لم تكن هذه أول مرة، و لكن يبدو أن هذه المرة مختلفه عن المرات السابقة.

مسكت يديه في يأس، و الدموع تتساقط من عينيها كالطر :
•

لم أعد قادرةً علي صد أهلي أكثر من ذلك..لن يجبروني علي الزواج من شخص غيرك، ولكن لا أستطيع أن أجبرهم علي أن

نبتي سوياً ..

ثُمَّ أَلَقْتُ بِالقَبْلَةِ :

• لا بد أن نفسخ خطبتنا، لقد مرّت أربع سنوات و نحنُ معاً، و لكن لا تتحسن ظروفك، لا توجد لك وظيفة ثابتة، ولم نشتر أو نوّجر منزلاً بعد، و هم يضغطون علي في كل لحظة تَمُر، و لم أعد قادرةً علي التحمل.

حانت منه إلتفاته إلي خارج النافذة ليخفي دمه سقّطت في كبرياء من عينه اليمني، ثُمّ نظرَ إليها في صمّت، و خلع من يديه دبّلتَه الفضية و فتح يدها ووضعها فيها و أغلقها عليها.

لم تتمالك نفسها و إنطلقت في بُكاء هستيري، فأمسك يديها في قوة و قام من جلسته و همس في أذنها :

• سوف أحبك الي آخر العمر..

و قبل أن يمضي أمسكت يده قائلة :

• سوف أنتظرك، لن أكون لغيرك..

تركها مغادراً المكان.. و ظلت كلماتها ترن في أذنيه .

لن أكون لغيرك.

لن أكون لغيرك..

• يوسف...يوسف !!!

خرج من ذكرياته علي صوت ينادي باسمه !

معقول ! إنه صوتها، يستطيع أن يميزه من بين مليون صوت، إنه يحفظه عن ظهر قلب، و لكن أين هي...!! أخذ يتلفت يميناً و يساراً إلي أن وجدها. كانت في السيارة التي علي يساره، سيارة فارهة من تلك التي يتعدي سعر الواحدة منها مليون جنيه فأكثر..

كانت تجلس بجانب قائد السيارة، و أما قائد السيارة نفسه فكان رجل يبدو أنه في العقد الرابع من عمره، ذو شارب كث، يرتدي نظارة شمسية عريضة، كان يبدو عليه الثراء و لكن لم يبدو عليه الرقي.

و صرخت ثانية :

• يوسف !! يوسف !

كانت تنظر في المرأة الي المقاعد الخلفية..

نظر معها يوسف إلي نفس الناحية، ووجد طفلين أحدهما في الثالثة من عمره و الآخر مازال رضيعاً..

كان يري ذلك المشهد وهو يسمع كلماتها الموجهة الي ابنها :

• يا يوسف سيب أخوك، ما صدقت نيتته بقي !

ثُمَّ إرْتَدَّتْ نَظَارَتُهَا الشَّمْسِيَّةُ، وَإِخْضَرَّتْ الْإِشَارَةَ، وَإِنْطَلَقَتِ السَّيَّارَةُ وَ
إِنْطَلَقَتِ بَاقِي السَّيَّارَاتُ مِنْ خَلْفِهَا، وَانْطَلَقَ نَفِيرُ السَّيَّارَاتِ الْمُنْتَظَرَةِ خَلْفَهُ
فِي غَضَبٍ..

وِإِنْهَالَتِ الشَّتَائِمُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ..

وَهُوَ مَازَالَ لَا يَسْمَعُ، مَازَالَ مُتَسَمِّرًا وَ عَيْنِيهِ مُعَلِّقَةً بِتِلْكَ السَّيَّارَةِ الَّتِي
إِنْطَلَقَتْ بَعِيدًا..

وَإِحْمَرَّتِ الْإِشَارَةُ مَرَّةً أُخْرَى..

وَظَلَّ هُوَ عَالِقًا فِي تِلْكَ الْإِشَارَةِ.

سكارت

في أحد الأحياء الهادئة في مدينة نيويورك، مرّت سيارة سوداء في هدوءٍ
حتي توقفت أمام أحد المنازل لبرهة من الوقت، ثُمَّ ما لبثت أن دلفت إلي
مرآب المنزل و إنغلق بابه وراءها ..

من وراء إحدى نوافذ البيوت المقابلة كان هناك من يراقب الوضع في ترقب
و فضول

كانت سيدة في متوسط العمر ذات شعر أشقرٍ و ملامح أمريكية
ثُمَّ ما لبثت أن أغلقت ستار النافذة و عادت إلي ما كانت تفعله
كانت تُزين إحدى أشجار الكريسماس و تضع بعض الزينة هنا و هناك
ثُمَّ سمعت صوت أقدامٍ آتية من غرفة النوم فصاحت :

- توم ! تعال، أريد أن أسألك شيئاً
- نعم حبيبتى، ها أنا ذا، ماذا تودين أن تسألي ؟
- ماذا تعرف عن أهل المنزل المقابل ؟ من يسكنون فيه ؟

- آه تقصدين السيد آدم، الساكن الجديد، إنه عربي.
- هل يعيش بمفرده ؟
- نعم.
- لماذا ؟ و لما لم أره أبداً ؟ ما قصته ؟
- نظر توم الي الشجرة في جدية مصطنعة ثُمَّ مَدَّ يده إليها معدلاً بعض كرات الزينة في بلاهة زائدة، فصاحت به المرأة :
- توم !
- ماذا يا جوليا ؟ ماذا، لماذا أنتِ مهتمة به الي هذا الحد!
- إنه الفضول فقط، أشعر أنه غريب الأطوار !!
- كل ما أعرفه عنه أنه رجل أعمال عربي، إسمه آدم، و هو غريب الأطوار بالفعل.
- ثُمَّ قال لها مُكملاً بنظرة ذات مغزي :
- و لا يحب الأشخاص الفضوليين !!
- كيف هو غريب الأطوار، خبرني بالله عليك !
- نظر إليها ثُمَّ إلى سقف البيت ثُمَّ قال :
- يالللنساء !

ثُمَّ أدار لها ظهره عائداً إلى الغرفة، فتركت ما بيديها من كرات و زينة و هرعت وراءه إلى الغرفة قائلةً :

- توم أرجوك..الفضول يقتلني، أرجوك أرجوك أرجوك !
- حسناً ! يكفي، يكفي! و لكن دعيني و شأني بعدها ولا تفتحي قصة ذلك الرجل ثانياً
- موافقة، هيا، ما هي قصته ؟
- أطلق تنهيدةً حارةً ثُمَّ جلس علي طرف السرير ثم أخذ يحكي :

• أنا لم أقابله غير مرة واحدة بالصدفة البحتة، كانت الشمس علي وشك الغروب و رأيته يتخلص من القمامة و كنت أنا أهم بالنزول من السيارة قادماً من العمل، و قررتُ الذهاب إليه لألقي عليه التحية و أرحب به في الحى، لم يكن كثير الكلام، عرفتُه بنفسى و عرفتني بنفسه و كان يبدو مشغولاً أو أنه إدعى ذلك حتي يتخلص منى، إنه حتي كان يتحاشى النظر إليّ، و ودّعني في أدبٍ جم و دلف إلي بيته و حينها لمحت شيئاً غريباً في الداخل قبل أن يُغلق الباب.

- ما.. ما هو ؟ جثة ؟ أحد الأعضاء البشرية ؟ قبلة نووية ؟ !
- إهدئي يا جوليا، إن الرجل ليس بقاتل، و هل تظنين لو أنه كان سفاحاً كنت سأسكت حتي الآن عليه ؟

ردت في بلاهة :

• ربما هددك ولا تنس أنه عربي، ربما هو إرهابي خطير !

خبط رأسه بكفه قائلاً :

• يا إلهي !

• آسفة، أنا آسفة، أكمل، ماذا لاحظت في الداخل ؟

• كان المكان بأكمله بالأبيض والأسود، نسيْتُ أن أقول أنه كان أيضاً يرتدي ملابساً سوداء فقط.

• وماذا في ذلك، ربما كانت فقط الصالة بالأبيض والأسود، أو ربما هي فقط قَلَّة الإضاءة، ألم تقل أنك رأيته وقت الغروب.

• هذا ما ظننته، و قتلني الفضول فذهبت الي إحدي النوافذ و لم يخب ظني قَط، حيناً إختلستُ النظر إلي الداخل، وجدت العجب العجاب !

• توم ! أنت تقتلني، ماذا وجدت !

• كان كل شيء كما أخبرتك بالأبيض والأسود، الأرضية، الأثاث، الستائر، كنت أشعر أنني في أحد أفلام الأربعينيات، آه حتي التلفاز، لن تُصدّق، رأيت فيلم تاي تانك عليه و لكن بالأبيض و الأسود !

نظرت إليه جوليا في خيبه أمل قائلة :-

- ربما كان تلفاز خرب أو به عطل ما
- هذا ما ظننته، ولكن أتظنين رجلاً يسكن في حي مثل هذا و يركب سيارة فارهة كتلك سيملك تلفازا معطوباً كهذا ؟ عموماً أنا لم أهدأ بعدها حتي جاء ذلك اليوم .
- أي يوم؟
- لماذا لست صبورة يا جوليا ؟

ردت في تبّرم :

- آسفة ، أكمل .
- مارك أخبرني بكل شيء
- مارك من ؟
- مارك زاكاري ..
- آه، تذكرته، ذلك السباك ..
- نعم، أنت تعرفين أننا دائماً ما نستعين به
- أها
- خمتي من إستعان به أيضاً !

- هو ؟ ذلك الرجل ؟ و ماذا حدث، أخبرني!
- حينما أتى مارك من يومين ليصلح لنا صنبور المطبخ دار بيننا ذلك الحوار....
- مارك : هذا المطبخ يحتاج الي تغيير شامل، لعلك تود أن تنسفه !
- توم : أنا أنوي أن أقوم بذلك التغيير في المنزل ككل
- رد مارك بسخرية :
- لا تخبرني أنك سوف تجعل منزلك بالأبيض و الأسود مثل ذلك المحبول
- محبول من ؟
- ذلك العربي في البيت المقابل، ألم أخبرك من قبل ؟
- لا، ما قصته ؟
- إستعان بي منذ فترة لأصلح له بعض الأعطاب في حمامه و حينما دخلت بيته دُهلْتُ ما رأيته !
- ماذا رأيت ؟
- كان المنزل بالكامل كأنه فيلم كازابلانكا !
- أتعني أن أثاث المنزل كان قديماً ؟

• لا، أعني أن البيت بأكمله كان بالأبيض والأسود، الأثاث حديث جداً..و كل شيء في المنزل يُنم عن الرفاهية..و لكن بالأبيض والأسود، الأثاث، الستائر، الأرضيات، المطبخ، الحمام، كل شيء فيه أبيض أو أسود فقط! و ما زاد الموضوع غرابة ما رأيته بعد ذلك !

• ماهو؟

• لن تُصدق أبداً !

• قل و سأحاول أن أصدق

• عنده خادم

• و ما الغريب في ذلك ؟

• ذلك ليس الجزء الغريب، الغريب أنني حينما لمحتُ الخادم يقدم له الطعام علي طاولة السفرة شكره الرجل مُتجنباً النظر إلي الطعام..ثم أغمض عينيه وبدأ في الأكل !

• ماذا !!

• كما قلت لك، كان يأكل مغمض العينين ..

• هذا الرجل مجنون بلا شك !

• لا، لابد أنه مريضٌ نفسي !

- و لم تعرف لما يفعل هذا ؟
- لم أجرؤ علي السؤال، لربما قتلي و دفني في قبو منزله المريب!
- أنت محق !
- و لكن الموضوع لا يحتاج إلي ذكاء كثير لكي تعرف أن هناك عداوة بين هذا الرجل و الألوان.
- كيف هذا ؟
- يعني، بيتٌ بالأبيض و الأسود بأكمله، و الشيء الملون الوحيد في البيت هو الطعام، و يبدو أنه لا يريد أن يراه !
- وجهة نظري مارك !
- الخلاصة أنه مخبول !
- بالتأكيد.

- و هكذا ..كان ذلك الحوار بيني و بين مارك
- ذلك الرجل مريب بحق ! إنه يخفي شيئاً ما حتماً !
- طبعاً، ولكن أرجوك، ليس لنا شأن به، دعينا نهتم بشؤوننا الخاصة و بمناسبة شؤوننا الخاصة، لماذا لم تأت صديقتك حتي الآن ؟ ألم تقل أنها تريد أن تقضي اليوم بالكامل معنا، الساعة

قاربت علي الرابعة و لم تظهر حتي الآن

• لقد إتصلت منذ قليل و قالت إنها غادرت المطار قادمةً في سيارة أجرة، لابد إنها علي وشك الوصول، لا تقلق، و أرجوك كن لطيفاً معها.

• أنا دائماً لطيف معها، هل عندك شك؟

نظرت إليه جوليا في غيظٍ ثُمَّ غادرت الغرفة و عادت إلي الشجرة مرة أخرى لتزيينها و كانت تنظر إلي خارج النافذة حينما رأت شيئاً إتسعت له عيناها و صاحت :

• توووووم ! تعال بسرعة !

• جوليا ! ليس ثانية ! ماذا قلت لك ؟!

• أيها الأحقق ليس ذلك الموضوع.. تعال و إنظر بسرعة !

أتى توم مسرعاً فوجد جوليا تقف أمام النافذة في إنبهارٍ و سرور
نظرت له قائلةً :

• الثلوج بدأت تتساقط، في ليلة عيد الميلاد، تخيل، أنا سعيدة يا توم، سوف يكون الكريسماس جميلاً هذه السنة

• نعم حبيبتي، إنه دائماً جميل بك .

ثُمَّ طبع قُبلةً علي جبينها في حنانٍ و ربت علي كتفها .

كانا يشاهدان الثلوج و هي تتساقط في سعادة و سكينة تامة
إحتضنها في رقة وأسندت هي رأسها علي كتفه في دلال.

في المنزل المقابل، كان آدم يجلس في حجرة مكتبه.
كانت الحجرة مظلمة، علي الرغم من أن الوقت مازال بعد الظهيرة، إلا إنه
أحكم اغلاق الستائر جيداً.
و في أحد الأركان، كان يجلس علي أحد المقاعد الوثيرة بجانب مصباح
ذي إضاءة خفيفة.

تنبعث في الغرفة أنغام إحدي أغنيات فرانك سيناترا الشهيرة

((Fly Me To The Moon))

ممتزجةً بدخان ذلك السيجار في يده.
أطلق تنهيدةً ذات مغزي و أغمض عينيه منسجماً مع تلك الأغنية و ...
ترررن...

دقَّ جرس الباب ليقطع عليه ذلك الهدوء و الإنسجام.

فتح عينيه في إنزعاجٍ شديدٍ، ثُمَّ نادى في حدة:

• ألبرت ! ألبرت، إفتح الباب !

جاءه صوت ألبرت من بعيد :

• حاضر يا سيدي ..

ثُمَّ سمع صوت فتح الباب و صوت ألبرت و صوت آخر يرد عليه، صوت أنثوي..

ثُمَّ تناهى إلى مسامعه صوت وقع أقدام تقترب.

• سيدي..هناك امرأة بالخارج تريدك.

قلها ألبرت في صوت شبه هامس..

• امرأة؟ من؟

• هي من جاءت من قبل مرتين، تقول إنها تريدك في شيء عاجل.

• أخبرها أنني لست هنا ..لا، أخبرها أنني مت.

• سيدي، ما من داعي لكل هذا، ثُمَّ إنها لن تكفّ عن المجيء حتي تحدثك.

رد آدم غاضباً :

• يا إلهي، حسناً، فليكن !

قام آدم باطفاء السيجار و نهض من مقعده، إرتدي نظارةً شمسية داكنة
ثُمَّ خرج إلي السيدة.

كانت تستند إلي الباب بظهرها بطريقة مثيرة كما يفعلن نجمات السينما،
مرتديةً رداءً نومٍ قرمزي قصير يكاد يخفي مفاتها.

إعتدلت قليلاً حينما رآته قادماً و داعبت بعض خصلات شعرها الذهبي
و إبتسمت قائلةً :

• أخيراً ..!

رد آدم عليها بكل برود :

• ما الأمر العاجل ؟

إرتبكت قليلاً ثُمَّ ردّت :

• أنت تعرف أن الليلة هي ليلة عيد الميلاد، وأنا وحيدة و أعرف

أنك وحيد مثلي، و فكرت أن أدعوك لتناول العشاء معي الليلة،

أنوي أن أقوم بطهو....

قاطعها آدم :

• شكراً...

ثُمَّ أغلق الباب في عنف و نفخ في ضيق تاركاً إيها بالخارج غير مصدقة

ما حدث للتو.

ثُمَّ إِسْتَدَارَإِندَاءً إِلَى غُرْفَةِ مَكْتَبِهِ حِينَ سَمِعَ أَلْبِرْتَ يَقَهْقَهُ ضَاحِكًا :

- لَا أَصْدُقُ مَا قَدْ فَعَلْتَهُ لِلتَّو، لَا بَدَّ أَنَّهَا سَتَنْتَحِرُ !
- فَلْتَتَعَفَّنْ فِي الْجَحِيمِ !
- هَلْ تَعْرِفُ أَنَّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ الَّتِي رَفَضَتْهَا مِنْذُ لَحْظَاتٍ هِيَ فِرَانْشِيْسْكَ رَاجَاتْزِي، وَاحِدَةً مِنْ أَجْمَلِ وَأَشْهَرِ عَارِضَاتِ الْأَزْيَاءِ فِي الْعَالَمِ !
- أَعْرِفُ، وَلَا أَهْتَمُ.
- هَذِهِ لَيْسَتْ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي أَرَاكَ فِيهَا تَفْعَلُ ذَلِكَ
- وَ لَنْ تَكُونَ الْأَخِيرَةَ .
- لَمَتِي سَوْفَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ لَمَتِي سَوْفَ تَدْفِعُ النَّاسَ بَعِيدًا عَنْكَ؟
- أَلْبِرْتُ ! أَنْتَ تَعْرِفُ إِنْنِي لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى أَوْ أَعْرِفَ أَحَدًا، أَنْتَ تَعْرِفُ الْقَوَانِينَ جَيِّدًا، لَا أَصْدِقَاءَ، لَا حُبَّ، لَا أَلْوَانَ !
- أَتَمْنِي أَنْ أَعْرِفَ لِمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ

قَاطَعَهُ آدَمُ فِي حَنْقٍ :

- أَلْبِرْتُ !
- حَسَنًا سَيِّدِي، أَنَا آسَفُ، وَلَأَعْتَبِرَنَّ نَفْسِي مُحْظُوظًا لِأَنَّي الْوَحِيدَ الَّذِي تَبْقِيَهُ حَوْلَكَ.

إبتسم آدم إبتسامة خفيفة و عاد إلى غرفته في هدوء.

في الرابعة و النصف عصرًا توقفت سيارة أجرة أمام منزل توم و جوليا.

كانت جوليا ما تزال تزين الشجرة حينما رأت السيارة فهتفت :

• توم، لقد جاءت، هيا بنا نستقبلها و نحمل عنها أمتعتها

رد توم و هو ينهض من أحد المقاعد :

• حاضر، هيا بنا.

كانت صديقة جوليا قد نزلت من السيارة و وقفت بجانب شباك السائق لإعطائه الأجرة حينما رنَّ هاتفها المحمول، وحاولت الرد فأوقعت النقود علي الأرض، إرتبكت، و إحتارت ما بين الردّ علي الهاتف و بين أن تلتقط النقود قبل أن تتطاير.

و بالفعل بدأت النقود في التطاير، فهرعت لكي تلتقطها قبل أن تبتعد حينما أتى ذلك الصوت المزعج من بعيد..

كان صوت صرير إطار سيارة يحاول سائقها التحكم بها و لكن بلا جدوي..

كانت السيارة تنطلق بسرعه مخيفة نحوها و لم يعد هناك مفر من الإصطدام

سقط من يدها الهاتف لا إرادياً و أفلتت قبضتها الأخرى ما تبقى من النقود لتتطاير كلها في الهواء ..

أغمضت عينيها في خوف مستسلمة للموت مودعةً لآخر لحظات حياتها.. حينما ظهر من العدم رجلٌ يجري بسرعة خارقة متجهاً نحوها، حملها بقوة و قفز بها مترين إلي جانب الطريق، وسقط بها علي الجليد، و توقفت السيارة مصطدمةً بأسوار أحد المنازل.

حاول مُنقذ المرأة النهوض و جثا علي ركبته اليمني، أما هي فلم تتحرك , كانت راقدةً علي جانبها الأيمن، يغطي وجهها شعرها الأحمر الناري.

مدَّ يده إليها، و أزاح بعض خصلات شعرها عن وجهها فوجدها مُغمضة العينين، فوضع إصبعيه السبابة و الوسطي بطريقة محترفة علي جانب رقبتها، ثم أطلق تهيدة إرتياح.

إستدارت لترقد علي ظهرها ثم بدأت تفتح عينيها في ببطء ناظرةً إليه، فتوقف به الزمان بضع لحظات، بل بضع سنين.

و إستمر ذلك المشهد علي نغمات هاتفها الملقى بجانبها، الذي أخذ يرقص برنين أغنية

La Foule للمطربة الفرنسية Edith Piaf

كانت تنظر إليه في إمتنانٍ و قليل من النشوة.

تسمر و هو ينظر إليها، كانت كأنها لوحة مرسومة في الجنة.

راقدةً علي الجليد، بذلك الشعر الأحمر الناري المتناثر حولها بغجرية تامة

و كأنها لهيب مشتعل فوق الجليد، وكأنها نار مستعرة، شمس تلتهمه بحرارته

،راقدةً علي الجليد بتلك العيون الزرقاء كبحر عميق في أشد الأيام صيفاً.

بتلك الشفاه التي لا تختلف حمرةً و اشتعالاً عن شعرها.

ببشرتها البيضاء التي جعلت الجليد بجانبها ليلاً حالك السواد.

و ذلك الجسد كأنه تمثال تسابق ألف نحات علي صنعه.

جسد جعل ذلك الفستان الذي ترتديه يتأوه من جمال مفاته و دقة

منحنياته التي يحتضنها.

أخرجه من ذلك العالم الخيالي الذي يعيشه نداء جوليا و صرخاتها:

• سكاارلت..سكاارلت !! ..هل أنت بخير؟!!

إذاً هي إسمها سكارلت، ياله من إسم، و ليس مجرد إسم، بل إنه الجحيم

بحد ذاته متجسد في امرأة، هي تعريف الأنوثة، و بجسدها يقبع قاموس

كل مصطلحات الجمال!

هي فينوس، عادت الي الحياة مرة أخرى، بل هي أفرودايتي..

بل هي فينوس و أفرودايتي تقولبتا معاً في وعاء واحد فأصبحتا سكارليت .

مدّ يده إليها يساعدها علي النهوض و تلامست يداهما فشعر بألف زلزال
يجتاحه في عنف، و كأنه وضع يده علي جمرة من نار.

شعر بالكهرباء تسري في جسده، بل هي بالأحري الحياة، كان قلبه ينبض
من جديد.

نبضاته كاد يسمعها أهل تلك المنطقة كلها، بل نيويورك بأكملها.

نهضت أخيراً كعملاق ينهض ليحكم مملكته، نهضت بكل رقبتها و غجريتها و
حرارتها، و تضائل هو أمامها، انكمش تماماً.

و مع أنه هو من مدّ يده لمساعدتها، بدا في تلك اللحظة كطفل صغير
يتعلق بيدها.

بدا مسكيناً عاجزاً قليل الحيلة أمامها، بدا منهراً بين يديها.

سلمت عليه في رقة قائلة :

• شكراً جزيلاً، إسمي سكارلت، و أنت ؟

قالها بفرنسية خالصة، جعلت قلبه يذوب في أعماق صدره.

هكذا إكتملت اللوحة و صارت أكثر جمالاً عن ذي قبل، إنها فرنسية ..

فتح فاهه للحظات ليجيب عليها و لكن المفاجأة أفقدته توازنه

إنتبهت هي أنها تحدثت بالفرنسية وأنه عجز عن الرد عليها فعاودت السؤال

بإنجليزية ركيكة تشوبها تلك اللكنة الفرنسية المميّنة..

فإبتسم و ردّ عليها بفرنسية خالصة :

• أنا آدم، لا تشكريني، هذا واجبي، أأنتِ بخيرٍ سيدتي ؟

إبتسمت بجانب شفيتها فظهرت تلك الغمازة تلقي عليه التحية لتقتله في رقعة مرة أخرى.

بدأ يشك للحظات أنها أرسلت من السماء من أجل عذابه الخاص.

كان كل ما فيها مصمم للنيل منه ..لقتله ..للخلاص منه.

أجابته بفرنسيّتها العذبة :

• نعم ..أنت ملاكي الحارس، لا أعرف من أين أتيت و كيف أنقذتني.

ردّ عليها :

• المهم أنك بخير.

حاول الاستفاقة مما هو فيه، ونفض عنه بعض بقايا الثلوج و ذلك الدهول الذي إستولي عليه.

إبتسم لها في أدبٍ و إستدار عائداً الي بيته .

كان طويلاً عريض المنكبين، مشوق القوام، بدا جسده في تلك الملابس

السوداء الضيقة كأحد أبطال القصة المصورة الخارقين، زاده هيبه شعره
الفضي الممتزج ببعض السواد.

تابعته بنظراتها حتي وصل إلي باب بيته، إستدار في بطءٍ و حيّاها من
بعيد يديه و أغلق الباب في هدوء.

رفعت إحدي حاجبيها في إعجابٍ و نظرت إلي جوليا قائلةً :

• من الوسيم ؟

نظرت إليها جوليا في صدمة قائلةً :

• لا لا ..أنتِ لا تريدين أن تعرفي، تعالي ندخل البيت لتستريحي
أولاً ثمّ سنتحدث لاحقاً في ذلك الشأن.

قاطعتها سكارلت :

• لماذا ؟ ما قصته ؟

خبط توم رأسه بيده قائلاً :

• اللعنة ..ليس ثانياً !

ما أن دخل الثلاثة إلي المنزل حتي أمسكت سكارلت بيد جوليا و تأبطت
ذراعها ثمّ إستدارت لتوم قائلةً :

- عذراً..سوف أقترضها منك قليلاً، هناك بعض الكلام النسائي الذي نريد أن نتجاذبه !

ردّ توم في إرتياح :

- تفضلي، إقترضها حتي آخر العمر، فأنا لا أود أن أسمع شيئاً حتي آخر اليوم عن رجل الأبيض و الأسود !

عقدت سكارت حاجبيها الجذابين في جدية و قالت :

- أبيض و أسود ؟

ضحكت جوليا قائلة:

- يالك من أحق، هيا بنا يا سكارلت إلي الداخل، سوف أشرح لك كل شيء.

رد توم :

- بدلاً من أن تستريحي بعد الذي حدث لك منذ لحظات تودين أن تعرفي قصة ذلك الرجل! يا للنساء !! و أنت يا جوليا بدلاً من أن تطمئني علي صديقتك تساندينها في هذا الجنون !

ردت جوليا في كبرياء مصطنع :

- لا شأن لك، نحن النساء صُنعن من عجينة أخرى، لا نهتم لتلك الأشياء.

• تلك الأشياء !، لقد كادت أن تكون ضعيفاً جديداً في عالم
الأموات و تُسمّين ذلك بتلك الأشياء !، آه فهمت ..أنتم تهتممن
بالرجال و التسوق و لون طلاء الأظافر و موديل الحذاء الجديد !
لم ترد جوليا عليه ..بل رمقته بكل حنق الدنيا ثمّ دلفت هي و سكارلت
إلى غرفة المعيشة

بعد أن حيّا آدم سكارلت و أغلق باب منزله، أسند جبهته إلى الباب و
أغمض عينيه، ثمّ دقّ بقبضته عليه في قوة.
جاء ألبرت مسرعاً علي إثر صوت الضربة ووضع يده علي كتف آدم قائلاً:
• ماذا هنالك يا سيدي ؟ هل أنت بخير ؟

لم يردّ آدم، بل إعتدل في وقفته و إستدار متجهاً إلى غرفته في سرعه و
أغلق الباب خلفه، و ما أن دخل الغرفة حتي جلس علي مقعده في بطء،
وأمسك رأسه بكلتا يديه، أغمض عينيه و أخذ يفكر و كأنما يكلم نفسه !
• ما الذي دهاك يا آدم ؟ و ما الذي إجتاحك للتو ؟ لماذا شعرت
بذلك الضعف أمامها؟
• تقصد سكارلت ؟

- إخرس ! لا تنطق إسمها !
- لماذا ؟ أتخشأها ؟
- أنا لا أخشي شيئاً، و لكن ..
- و لكن ماذا ؟ أتخشأ الضعف بين يديها ؟
- أنا لا أخشي الضعف أمام أي أحد، أنا أمقت الضعف !
- إذاً مم تخاف ؟ أن تعود الى نقطة الصفر ؟
- صه.. أنا دفتتك منذ عشرة أعوام، و الآن تريد أن تعود حياً !
- أنا لم أمُت قط !، فقط لم أجد الفرصة المناسبة لكي أتكلم
- تقصد بسببها ؟ و لماذا هي بالذات ؟!
- إنها مختلفة !
- يا لك من أبله ! هذا ما تظنه، لا شيء مختلف، الحياة بأكملها صندوق قمامة كبير !
- و هي ليست من ذلك الصندوق، لقد أتت من السماء، من عالم آخر !
- ها أنت تتكلم كالأبله ثانياً !
- ربما، و لكنني حي..

- إنتهي النقاش! يجب أن تنسي أمرها تماماً، أنت تعرف، لا أصدقاء، لا حب، لا ألوان !
- ألوان، رأيت عينيها ؟ شعرها، رأيت شفيتها، يا إلهي ...
- ها هو الأبله قد عاد من جديد ! سوف تجعلك ليناً من الداخل، هشا، و أنت تعرف أن الهشاشة في هذه الحياة ليست بالشيء اللطيف، سوف تحولك الأيام إلى أشلاء في أول فرصة لها، فعلتها من قبل، أنا و أنت نعرف ذلك جيداً، أحب أن أذكرك ؟
- أنت تقتلني
- فلتتعفن في الجحيم !
- أنا من بقي منك من جزء حي، أتريد أن تتخلص مني؟!
- أتمني أن أقتلك آلاف المرات !
- لا أريد الحديث معك !
- يستحسن ! سوف أنام ..لعلي أصحو و أجذك قد صرت ميتاً !

كانت سكارلت قد أفرغت حقائبها حينما إنتهت جوليا من قص حكاية آدم عليها بالكامل

فنظرت إلي جوليا قائلة :

• مم ..هذه هي قصته إذاً ..رجل غريب ..

قاطعتها جوليا قائلةً :

• إنه مختل !

• صه ..ليس بمختل يا جوليا!

رفعت جوليا حاجبيها قائلةً :

• أبهذه السرعة يا سكارلت !

• ماذا ؟ سرعة ماذا !

• أحبيته ..أحببت آدم

إرتبكت سكارلت و هي ترتب الملابس فأوقعت بعضها قائلة :

• حُب ..أنتِ محبوبلة، ليس حُب، و لكنه امتنان، إن الرجل قد

أنقذني للتو و ..و أنت تعرفين.

• سكارلت عزيزتي ..أنتِ كاذبة ..كاذبة جداً، أنا ما إن ذكرت

اسمه حتي احمرّت وجنتاك !

نظرت لها سكارلت في حنقٍ قائلة :

• هكذا !

أخرجت جوليا لسانها واضعة قبضتها علي وسطها قائلة :

• نعم هكذا

فأخذت سكارلت إحدي الوسائد من علي السرير و رمت بها جوليا
فصرخت جوليا ضاحكة :

• أيها الشريرة سوف أريك..!

ثُمَّ رَمَتْهَا هي الأخرى بوسادة قائلة :

• خذي هذه أيُّها العاشقة الوهانة

وتبادلتا الاثنتان الوسائد و الصرخات و الضحكات حتي سمعتا صوت
طرقات حادة علي الباب فتوقفتا، ثُمَّ ذهبت جوليا إلي الباب و فتحتة
فوجدت توم

• هل جننتما؟

• و ما شأنك أنت !

• لا أستطيع أن أنام ! أشعر أنني نائم في سيرك أو مدينة ملاهي !

• تعرف أنك هادم الملذات !

إبتسم توم ابتسامة صفراء قائلاً :

• يسعدني ذلك

• سخيـف !

ردّ توم عاقداً ساعديه :

• شكراً ..سوف أذهب للنوم !

• إنتظر، الساعة السادسة الآن، سوف نبدأ باعداد العشاء،
أنسيت أن الليلة هي ليلة الميلاد !

• لم أنس،و لكن.....

• لا يوجد لكن، هيا بنا ! هيا يا سكارلت ..

قاطعتها سكارلت متسائلة :

• انتظري..ألن ندعوه ؟

• من ؟ هو ؟ آدم ! هل جننتِ ! إنه غريب الأطوار !

• جوليا ! غريب الأطوار ذلك قد أنقذني من ساعة !

• حسناً حسناً ..لنقل أننا دعونا ..كلنا نعرف جيداً إنه لن يقبل

• سأجعله يقبل !

نظر توم لجوليا قائلاً :

• صديقتك ساذجة !

نظرت له سكارلت في تحدٍ قائلة :

• سنري !

من يعرف سكارلت جيداً، يعرف إنها ليست بالشخص الذي يستسلم بسهولة، أو يتخلي عما يريد، و لكن في وضع كهذا، من الصعب التنبؤ بما يمكن أن يحدث.

إقناع آدم بالقدوم و تناول العشاء مع غرباء لا يعرفهم هو كإقناع ثور هائج في حلبة المصارعة بالهدوء، ناهيك عن موضوع الا أصحاب والاحب واللا ألوان ذلك !

كانت سكارلت تعرف كل ذلك، و لكنها تعرف إنها مختلفة، هي تعرف أن لديها ذلك السحر الباريسي الذي لطالما دوخ الكثيرين وراءها منذ نعومة أظفارها..

هي تعرف إنها ليست بالصيد السهل، و أن الملايين يحملون بدعوة مثل هذه، بل بدقيقة واحدة تحت قدميها.

و لكنها تعرف أن هذه المعركة مختلفة، و أنها تحارب خصماً ليس سهلاً بالمرّة.

لذلك فهي تحتاج الي أسلحة خاصة، بل أسلحة فتاكة ..
قررت أن ترتدي أكثر الملابس اغواءً لديها، و أن تضع أشد العطور سحراً.
ذهبت إلي منزله و كلها ثقة و اطمئنان أن قلاعه لن تستطيع الصمود أمام
عدتها الحربية .

وصلت و دقت جرس الباب في رقة، لم تمر عشرونٍ حتي فتح ألبرت
الباب و ابتسم لها في أدبٍ قائلاً :

• منزل السيد آدم، نعم يا سيدتي ؟

إبتسمت سكارلت بدورها تلك الابتسامة القاتلة قائلةً :

• أين هو ؟ أريده في أمرٍ هام

• و لكنه ...

قاطعته سكارلت بتلك النظرة المتمسكة كقطة فقدت أمها ثم قالت له :

• أرجوك، لقد أنقذ حياتي منذ قليل و أريد أن أشكره بطريقة
تليق بما فعل ..

• آه .. أنقذك، الآن فهمت ..

• فهمت ماذا ؟

• لا شيء سيدتي، مم و لكنه نائم الآن ..

كررت سكارلت من جديد نظرة القطة و زادت عليها بمط شفتيها بحزن مصطنع، ما جعل قلب ألبرت العجوز يهوي إلي قدميه و نظر إليها في ذهول .. ثُمَّ إستدرك نفسه و قال لها :

• حسناً حسناً، لندعوا فقط ألا يقتلني !

ضحكت سكارلت في دلال قائلة :

• لا تخف، سوف أحميك !

كان آدم علي وشك النوم حينما دق ألبرت باب غرفته، ففتح عيناً واحدة قائلاً :

• ماذا تريد يا ألبرت ..

ففتح ألبرت الباب في خوف قائلاً :

• إنها تلك المرأة !

• أهي لم تتعلم بعد ما فعلته بها .. !

• لا يا سيدي، ليست تلك الحسنة، إنها حسنة أخرى ! في الحقيقة هي أكثر منها حسناً

• ماذا ؟ أتهدي يا ألبرت

• آسف يا سيدي أنا أقصد، إنها تقول أنك أنقذتها و تريد أن

تشكر، شيء من هذا القبيل

إنتفض آدم في سريره حينما إنتهى ألبرت من كلامه قائلاً :

• أهي بالخارج !

ردَّ ألبرت بخبث :

• نعم يا سيدي، هل أقول لها أنك نائم ؟

ردَّ عليه آدم بسرعه :

• لا، إنتظر، سوف أخبرها بنفسي، أقصد، سوف أري ماذا تريد .

ابتسم ألبرت في خبث قائلاً :

• حسناً .. لك ما تريد يا سيدي ..

ارتدي آدم ملابسه السوداء التقليدية و وضع نظارته الشمسية كالعادة،
برغم أن الوقت قد صار ليلاً.

و خرج إليها، و ياليتها ما خرج ..هكذا قد تمنى هو ..

كانت هناك ..تقف في شموخ ..بجاراتها بلهيبها، كانت كشمس مشتعلة، و
ما زادها إشتعالاً ذلك الثوب الأحمر الذي ترتديه، هو ليس قصيراً، و لكنه
يكشف عن ساقها اليسري بالكامل في تحد مثير، نزولاً الي ذلك الحذاء
ذي الكعب العال، الذي زادها أنوثة ورقة ..

و ذلك الشعر الأحمر الغجري الذي ينسدل علي كتفها العاريتين.
و كأنها خرجت للتو من أحد إعلانات العطور و جعله ذلك يحلحله نظارته
الشمسية لا إرادياً.

نظرت له بعينها الزرقاواتان اللتين لمعتا ببريقٍ أشد من بريق ذلك العقد
المتدلي علي صدرها، و كأنه يحرس مفاتيها.

إقترب منها في هدوءٍ كأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي، و كلما إقترب منها
كلما زاد ذلك العطر الأخاذ من جنونه.

و توقف الزمن للحظات من جديد، ظلا فيها يتأملان بعضهما البعض
كعشوقين إلتقيا بعد غياب طويل، و كأن تلك الأغنية التي لعبت في أول
لقاء لهما ترن في أذنيه من جديد أو هكذا يُحِيل له الآن.

ساد الصمت بينهما لكثير من الوقت حتي قطعتة هي بتلك الابتسامة
العذبة قائلةً :

• أتيت لكي أشكرك، بعد ما فعلته معي ..

رد عليها آدم خارجاً من غيبوبته:

• و لكنك قد شكرتني من قبل !

• أعلم و لكنني بعد التفكير وجدت أنها ليست الطريقة اللتي
تليق بك و بما فعلته من أجلي، لذلك فكرت أن أدعوك للعشاء

معنا، و الليلة هي ليلة عيد الميلاد كما تعلم و ليس من الجيد أن
تقضيها وحيداً.

نظر آدم اليها في مزيج من الحسرة و الحزم قائلاً :

• لا أستطيع، لست ذلك الشخص الذي يذهب للعشاء في
بيت غرباء لا يعرفهم ولا يعرفونه، بالإضافة الي أشياء أخرى لا
تعرفينها، و صديقي لا تودين معرفتها.

رفعت سكارلت حاجبها في مكر و دلال قائلة :

• تقصد الألوان ؟

عقد آدم حاجبيه في جدية و هنا إستدرك أنه لا يرتدي نظارته فوضعها
علي عينيه في إرتباك ثم قال لها :

• من أخبرك ؟

ردت سكارلت بثقة :

• ليس مهما، المهم أنك ستتعشي معنا ..

رد آدم عليها في جدية :

• آسف، لا أستطيع، لن أذهب إلي ذلك البيت، أو أي بيت، علي
جثتي !

ردت سكارلت في في خبث كخبث الأطفال :

• حسناً ربما لا تستطيع أن تأتي و لكنني أستطيع أن آتي أنا إليك.

رفع آدم حاجبيه في ذهول من شدة الصدمة ثم قال لها :

• ماذا ؟ هل جننت ؟ من أين لك بتلك الجرأة ؟!، سيدتي، كنتُ شخصاً لطيفاً معك للغاية، و لكن صبري بدأ في النفاذ ...

ردت سكارلت في تحد مثير :

• هل تراهن ؟

• أتظنين الأمر لعبة ؟ أنا لن أخوض معك في لعبتك هذه، إنتهينا!

ضحكت سكارلت تلك الضحكة المميته قائلةً :

• سنري يا آدم ..

إنها المرة الأولى التي تنطق فيها إسمه-آدم-قالتها بطريقة لم يسمعها من قبل، جعلته يعشق إسمه و يتمني أن يسمع منها آلاف النداءات به.

إستدرك ما فعلته به ثم بلع ريقه و قال لها في جدية مصطنعة :

• أنتِ طفلة !

ردت سكارلت في براءة :

• بالضبط !

ثُمَّ مَدَّت يدها و خلعت نظارته الشمسية و رجعت خطوتين إلى الوراء
في خفة

وضع آدم يديه علي عينيه في دهشة قائلاً:

• ماهذه الألاعيب، هاتِ النظارة !

هزت سكارلت رأسها يميناً و يساراً قائلة بكل براءة و إغراء في نفس
الوقت :

• توء، ألم تقل إنني طفلة، إذاً تحمل إزعاجي، سوف أذهب و
أحضر بعض الطعام و أعود ثانياً من أجلك

زجر آدم في غضب قائلاً :

• كُفي عن الألعيبك ! و هاتِ نظارتي يا آنسة !

جرت سكارلت و صاحت و هي مبتعدة :

• سوف أعطيها لك حينما أعود، شرط أن تكون ولداً مطيعاً !

و أعقبتها بعدد من الضحكات الساحرة و الساخرة ..

ظل آدم ينظر اليها حتي وصلت الي منزل توم و جوليا و دخلت و هي
مازالت تضحك، ثُمَّ أغلق الباب في دهشة و ذهول و هو يحدث نفسه :

• إنها مجنونة ! إنها مجنونة بلا شك !

قاطعه ألبرت :

• بلا شك يا سيدي، و لكنها مختلفة ..

نظر إليه آدم نظرة نارية، فردَّ عليها ألبرت :

• أنا فقط أقول رأيي يا سيدي ..

ردَّ آدم في حنقٍ شديد :

• إنها مزعجة !

ردَّ ألبرت مبتسماً :

• إنها حية.

• إنها شريرة !

• هي مأكرة فحسب.

• إنها بشعه !

• هي أجمل من رأينا يا سيدي

• كفي، سوف أستريح قليلاً و إذا أتت لا تفتح لها الباب، مفهوم؟ !

• مفهوم يا سيدي ..

من داخل إحدي النوافذ كانا توم و جوليا يراقبان الوضع حتي حدث ما حدث و عادت جوليا إلي البيت فلم يفهما، هل عادت منتصرة أم عادت بخفي حنين !

و قبل أن تدق جرس الباب كانا يفتحان لها في شغف و قلة صبر قائلين في نفس واحد :

• ها، ماذا حدث !؟ من إنتصر منكما في المعركة ؟

ردت سكارلت في ثقة :

• لنقل أننا في هدنة مؤقتة و لكنه علي وشك رفع الراية البيضاء.

نظر توم و جوليا إلي بعضهما البعض في عدم فهم، ثم سألتها جوليا :

• ماذا تعنين ؟ هل سيأتي للعشاء أم لا ؟

مطت سكارلت شفيتها في ثقة قائلة :

• لن يأتي، و لكن..

ردّ توم في انتصار :

• أجل ! كنت أعرف، جوليا، المئة دولار من فضلك ..

ردت جوليا في غضب :

• إنتظر قالت لكن !

نظرت إليهما سكارلت في إستنكارٍ :

• أتتراهنان عليّ ؟ حسناً، من يضحك أخيراً يضحك كثيراً !!

قالت لها جوليا :

• أكلمي و لكن ماذا ؟

إستطردت سكارلت قائلةً :

• و لكن أنا من سأذهب إليه.

صرخا توم و جوليا من هول المفاجأة :

• ماذا !

ثُمَّ إستطردت جوليا :

• لا شك أنكِ جننتِ! ستذهبين إلي ذلك المخبول وحدك ؟ و هل

أصلاً سيسمح لك ؟!

ثُمَّ قاطعها توم قائلاً :

• إذا استيقظنا في الصباح و وجدنا جثتها مُقطعة الي أجزاء في

صندوق القمامة فلن أحزن عليها، سأقول هذا ما حل بها نتيجة

جنونها، أدرين يا جوليا، الآن فقط إستوعبت أن كلا الإثنين

بنفس درجة الجنون، إنهما الثنائي المثالي ..!

ردّت سكارلت عليه :

• مازلت ذاهبة، أنا لست بمثل جُبنك يا توم ..

قاطعتها جوليا :

• ومتي تذهبين ؟

ردّت سكارلت ملوحة بنظارة آدم الشمسية في طفولية :

• في التاسعة، بعد ساعتين من الآن

إندهشت جوليا قائلة :

• و ما هذه النظارة ..إنها ليست لك.

ردّت سكارلت بزهوٍ واضعة طرف النظارة علي شفيتها في دلال :

• إنها له، سرقتها، غنيمة حرب !

صاح توم ناظراً الي جوليا :

• ها، أرايت ؟ صديقتكِ مجنونة، و لصة أيضاً ..!

ردّت عليه سكارلت واضعةً سبابتها اليسري علي شفيتها في رقة :

• هوش..إخفض صوتك، أرجوكم لا أريدأي إزعاج، أريد أن

يكون مزاجي لطيفاً، سأدخل لأخذ دشاً دافئاً و أبدأ بتجهيز

نفسي .

نظر توم إليها في غيظ و كاد أن يقول شيئاً لولا أن كتمت جوليا فبه بيدها
ثُمَّ تَأْبَطَتْ ذِرَاعَهُ قَائِلَةً :

• حسناً، سوف أذهب أنا و توم لتجهيز العشاء، لم يتبق الكثير،
هل أجهّز لك طعاماً لتأخذه معك ؟

ردت سكارلت في هدوء :

• لا، سوف أذهب بعد قليل لأتبع و أحضر طعاماً خاصاً،
خاصاً للغاية !

حينما دقت الساعة التاسعة، كانت سكارلت تقف أمام باب آدم مرتديةً
ثوباً أسوداً قصير مشير كسائر ملابسها، و تحمل في يدها سلة طعام تقليدية
الشكل لا تليق بها، و كأن تلك السلة دخيلة علي تلك اللوحة الفنية
الرائعة.

ضغطت زر الجرس مرات و مرات بلا إجابة..

ظلت كذلك لمدة عشر دقائق كاملة، و بدأ القلق يتسلل الي نفسها.

كانت تضغط الجرس و تدق علي الباب بيدها و لكن بلا جدوي، و

بعد مرور ربع الساعة إزداد الموقف صعوبة عليها حينما رأت أسواط الصواعق تضرب السماء بلا رحمة، أعقبها أصوات الرعد المرعبة.

كانت تعرف أن النتيجة الحتمية هي الأمطار لكي تكتمل المأساة.

و فعلاً لم تُمر عدة ثوان حتي بدأت الأمطار في الهطول بغزارة شديدة.

و لكنها لم تستسلم، عادت لتدق الباب من جديد و صاحت بصوت عال :

• آدم، أستركني أنتظر علي الباب، لقد بللتي الأمطار تماماً، لو أصابني البرد و مت ستكون أنت السبب، آدم.. آدم..!!

كانت تقول كلماتها بصوتٍ متهدجٍ أقرب إلي البكاء، لا يعرف من يسمعها هل ذلك من تأثير برودة الجو أم هي خيبة الأمل ..

شعرت أن كبرياءها يتمزق في تلك اللحظات ..

و في صوت أقرب إلي البكاء اغتصبت جملة :

• آدم، كفك مُزاحاً !

أسندت رأسها علي الباب، ثمَّ حانت منها التفاته إلي منزل توم و جوليا، كانت تعرف أنهما يراقبان الوضع من بعيد.

إبتعدت عن الباب خطوتين ثمَّ صاحت :

• شكراً لك أيها الشهم النبيل، لقد أنقذتني و قتلتي في نفس الليلة

..الوداع !

ثُمَّ رجعت خطوة للوراء و كادت أن تستدير حينما وجدت الباب يفتح في بطءٍ، و من ورائه ظهر آدم بملامحه المتجمدة كتمثال نُحت من ملايين السنين.

نظر إليها في عطف حاول أن يخفيه، كانت تقف أمامه مرتعشة، تحتضن نفسها و تفرك ذراعيها لعلها تشعر ببعض الدفء.

شعرها قد إبتلَ تماماً و غطّي نصف وجهها، و سألت الماسكارا علي خديها، لا يعرف أهي أمطار السماء أم أمطار عينيها السبب في ذلك.

و برغم تلك الفوضى التي عصفت بها لم تفقد شيئاً من جمالها، بل إزدادت تألقاً و نقاءً.

لم ينتظر الكثير، بل أشار لها بالدخول قائلاً :

• أدخلي، أنا آسف..

إغرورقت عيناها بالدموع و إبتسمت ببراءة غير عادية ناظرة له ثُمَّ دلفت إلى الداخل.

أجلسها آدم علي كرسي أمام مدفأة المنزل، ثُمَّ أحضر لها غطاءً أحاطها به، كانت تنظر له في مسكنة و هدوء كقطة شاردة وجدها علي الطريق.

نظر لها في جدية مصطنعة قائلاً :

• من الجيد أنك ارتديت ثوباً أسود اللون، و لكن ماذا أفعل في شعرك هذا؟!

ضحكت في خفةٍ قائلةً :

• أتود أن أصبغه أم أصبح صلعاء؟

رد آدم بابتسامة خفيفة :

• لا داعي ..

• إحم..

جاءته نحنة ألبرت من وراء ظهره، فإستدار قائلاً :

• ما الأمر يا ألبرت، و لما ترتدي ملابس الخروج؟

• يا سيدي أنت تعلم أن الليلة هي ليلة عيد الميلاد، و لا أستطيع أن أترك عائلتي في مثل ليلة كهذه، لابد أن نحتفل سوياً و تتبادل الهدايا كما تعرف.

• ستركني يا ألبرت !

ثم أشار الي سكارلت قائلاً :

• ستركني وحدي معها ؟

نظر ألبرت إلى سكارلت في هدوء فوجدها ترتعش ناظرة إليهما في مسكنة
و براءةً مبالغين فيهما، ثُمَّ نظر إلى آدم قائلاً :

• أعتقد أنها مسالمة، و ليس معها أية أسلحة، هل بحوزتك أية
أسلحة يا سيدتي ؟

هزت سكارلت رأسها في رقة و براءة مشيرة بالنفي قائلةً :

• توء توء

مط ألبرت شفثيه ناظراً إلى آدم ثُمَّ قال :

• أرايت ؟ ليست خطيرة، باستثناء ذلك الشعر الأحمر و عيونها
الزرقاء، فلا تقلق، هي وديعة كقطة!

نظر له آدم في غيظ قائلاً :

• ألبرت !!

ردَّ ألبرت في لا مبالة :

• لقد تأخرتُ، عيد ميلاد سعيد يا سيدي، هديتك في الغرفة،
لأنك لا تحضر الأشجار الخضراء الملونة الشريرة، الوداع، وداعاً
سيدتي ..

ردّت سكارلت مشيرةً بيديها كالأطفال :

• وداعاً ألبرت .. عيد ميلاد سعيد

رد ألبرت مبتسماً :

• عيد ميلاد سعيد سيدتي.

ثمَّ خرج في سرعة و أغلق الباب وراءه ..

ظلتا عينا آدم معلقه بالباب لا يصدق ما حدث للتو، ثمَّ إستدار الي سكارلت المبتسمة فتغيرت ملامحها إلي قناع المسكنة و الضعف ثانية، فصاح فيها آدم :

• كُفّي عن ذلك !

• أكف عن ماذا !

• عن تصنع البراءة !

• أنا لا أتصنع شيئاً !

• أنتِ مجنونة !

• ربما ..

• أنتِ مريضة !

و ما أن قال جملته الأخيرة حتي نهضت سكارلت من جلستها و أطاحت بالغطاء بعيداً ناظرة له في إستياء قائلة :

• أنا راحلة !

حينما نظرت له سكارلت هذه المرة صدّقتها، كانت تحمل مشاعر إستياء و
كبرياء حقيقية، ولكنه لم يفهم لماذا !

إتجهت إلى الباب و كادت أن تفتحه حينما وجدته يمسك ذراعها في قوة و
نظر إليها قائلاً :

• إنتظري، أنا آسف، جعلتني أتأسف الليلة مرتين، لقد تأسفتُ
في حياتي كلها قبل أن أعرفك مرةً واحدة ! أخبريني ماذا تريدن
يا سكارلت ؟

أمسكت ذراعيه بيديها و نظرت له في شغف قائلة بلهجتها الباريسية :
• أريدك أنت ..

ما أن سمع كلماتها حتي هوي قلبه إلى أعماقٍ سحيقة، و أعلن جسده حالة
الطوارئ ..

كيف بكلمتين فقط تستطيع أن تُزلزل كيانه بهذه السهولة !
كيف بنظرةٍ واحدة منها أن تُحيل ذلك الوحش الراقد بداخله الي طفل
وديع !

لم يعرف كيف يرد بل أبعدھا عنه و استدار قائلاً :

• أتيتِ الي الشخص الخطأ ! أنا لست من ذلك النوع يا آنسة !
• و أنت أيضاً أخطأت فهم كلماتي، أنا لست فتاةً رخيصة ! لو

كنت أريد إشباع رغبات جسدي لما تركت ورأيي الكثيرين في
باريس يشتهونه و أنا أرفض مرةً تلو الأخرى.

إستدار آدم ليواجهها قائلاً :

• إذا عماذا تبحثين ؟

إقتربت سكارلت منه و وضعت يدها اليمنى علي موضع قلبه ثم نظرت له
هامسةً بباريسيتها المميّنة :

• ألا تشعر به ؟

قال لها مشيحاً بوجهه :

• ماذا تقصدين ؟!

ثمّ حاول إبعادها ثانياً فأمسكت يده في قوّة و وضعتها علي موضع قلبها
هامسة مرةً أخرى :

• ما أشعر به..

لا يدري هو كيف تزلزله بهذه الطريقة في اللحظة آلاف المرات ..

حاول أن يتماسك، أن يهرب منها، بجسده، أو حتي بعينه، لم يستطع،
كانت تطبق السيطرة عليه بعينها.

و بعد أن عجز عن النطق، تكلم :

- و هل تولد مشاعر كتلك في ليلةٍ و ضحاها ؟
- و لما لا ؟
- مِن المفروض أنه ..
- قاطعته سكارلت في استنكار :
- من المفروض ؟ و هل للعشق كتاب للقواعد ؟
- إيتسم لها قائلاً :
- نوعاً ما*
- ثمَّ أمسك يديها و أبعدھا عنه من جديد قائلاً :
- التعقل واجب في مثل هذه الأمور
- و من قال أن هذا جُنون ؟^١
- هو الجنون بعينه !
- و ما السيء في الجنون ؟
- ثم أضافت بفرنسية خالصة :

١ يقصد كتاب (قواعد العشق الأربعون) لإليف شافاق.

J'ai aimé jusqu'à atteindre la folie; Ce que certains appellent »

« .la folie, mais ce qui pour moi, est la seule façon d'aimer

((أحببت الوصول للجنون، الذي يسميه البعض حماقة، و لكنه بالنسبة لي هو الطريقة الأكثر عقلانية للحُب))

رفع حاجبيه في اندهاش قائلاً :

• هه، أنت مثقفة إذا؟! تقرئين لفرنسا ساجان ؟

• قلت لك أنني لست بفتاة رخيصة، أنا خريجة السوربون.

رد آدم في انبهار :

• مم مذهل، ظننتك في البداية مجرد دمية باربي ..

أشاحت بوجهها قائلةً :

• الكثيرون يظنون ذلك، تلك هي مشكلتي، هل معك سجائر ؟

• نعم، إنها علي المنضدة بجانبك، و معها القداحة..

تلقت إلى يسارها و تناولت السجائر فأخذت سيجارة و رمت العلبة علي المنضدة في عدم إكتراث، أشعلت السيجارة، نفثت دخانها في بطء ثم تناولتها بيدها اليسري، ثم مدّت يدها الأخرى إلى حذاءها فخلعته، ثمّ وضعت ساقاً علي ساقِ قائلة :

• هكذا أفضل ..

كانت تجلس هناك في ذلك الركن علي المقعد كملكة تجلس علي عرشها،
تراقص إنعكاسات النيران في عينيها فتزيدها لهيباً.

نظرت له و هي تداعب خصلةً من شعرها المبتل قائلة :

• سأكمل لك، مأساتي في هذه الحياة، أن ذلك الجسد، وذلك
الوجه دائماً ما يعطيان الإشارات الخاطئة لمن حولي بأنني كما قلت
أنت -دمية باربي- أو فتاة رخيصة أو صيد سهل، لم يُعر أحد أي
إهتمام بعقلي أو إهتمام إذا كنت أدرس أو أعمل أو إلخ..

• و لم تظنيني مختلفاً عنهم ؟

• أنت بالفعل مختلف، لقد حاولت إبعادي عنك اليوم فقط أكثر
من ثلاث مرات، و ذلك الثوب يشهد علي ذلك.

فهم أنها تقصد أن ملابسها إبتلت تماماً و هي منتظرة علي عتبة بابه ..

ردّ عليها بابتسامة خفيفة قائلاً :

• حسناً .. أكمل.

إحتضنت ذلك السيجار بشفتيها ثم نفثت دخانه في بطءٍ و إستطردت
قائلةً :

• توقعت بعد أن تنقذني أن تفرض نفسك عليّ و تستمر في

ملاحقتي، ولكنك علي النقيض، فعلت العكس تماماً و تجاهلتي، لحظتها شعرت أنك مختلف، ناهيك عن القصص التي سمعتها عنك من توم و جوليا، أنت رجل غامض، و أنا أحب الغموض ..

- قصص ؟
- أعلم أنك تخفي شيئاً، سرّاً يقتلك من الداخل، لست وحدك ..
- أنت تُخفين شيئاً ؟
- كلنا نُخفي أشياء يا آدم.
- لطيف، لدينا عاملٌ مشترك إذاً.
- نعم، و لن أسألك ماذا تخفي، في المقابل، لن تسألني أيضاً.
- صفقة عادلة

أطفأت سيجارتها ثم استطردت قائلة :

- صحيح..كيف أنقذتني ؟
- كنت بغرفتي حينما سمعت صرير ذلك الإطار، نظرت من نافذتي و شاهدت ما يجري، لم أنتظر لأعرف ما سيحدث و قفزت من النافذة متجهاً نحوك، وأنت تعرفين الباقي ..
- أنت شجاع بحق.

- أي شخص كان سيفعل ما فعلت.
- ربما..و لكن ليس كل الأشخاص بمثل براعتك..
- لأنني أمارس رياضات عنيفة.

ردت سكارلت في مكر :

- سأحاول أن أصدق، ألسْتَ جوعاناً؟
- ما دُمْتُ قد سمعتِ قصصاً عني فأنت بالتأكيد تعرفين أن هذه النقطة بالذات شائكة، أعني الطعام..
- أعرف، و لدي الحل..
- إتجهت سكارلت إلي سلة الطعام التي أحضرتها فأخرجت لفة طعام و زجاجة نبيذ، ثُمَّ إستدارت لآدم قائلةً :
- هلا أحضرت لنا كأسين ؟

- ذهب آدم إلي المطبخ و أحضر كأسين و حاول تحاشي النظر إلي الطعام .
- انتهت سكارلت لذلك فضحكت ضحكة قصيرة ثم قالت له :
- لا تخف، لن يعُضك، تعال نجلس أمام المدفأة..

جلسا الإثنان وخلعت هي وشاحاً كانت قد وضعتة علي رقبتها، و إقتربت من آدم حتي صارت أنفاسها تحرقه، و قامت بربط الوشاح علي عينيه في

رقة قائله :

- الآن تستطيع أن تأكل معي في أمان.
- أنت ذكية..أعترف لك بذلك.

إقتربت منه هامسة :

- إفتح فمك
- ممم ما هذا ؟
- إنه كرز أحمر.

أخذت تطعمه كرزة بعد أخرى، و حينما كانت تلامس أصابعها شفثيه كان قلبه يستغيث و ينتفض في قوة .

تناولت زجاجة النبيذ من جانبها و فتحتها و بدأت في صبّ القليل في كل كأس..

- افتح فمك
- ممم ..نبيذ ؟
- أحمر
- أحمر ! كرز أحمر ،و نبيذ أحمر ، أنت لا تنتقين الألوان جيداً !
- لكل منا ألوانه !

خلع آدم الوشاح من علي عينيه قائلاً :

• ما قصتك ؟

ضحكت سكارلت في قوة حتي دمعت عيناها، فاندesh آدم قائلاً :

• ما بك ؟

• حينما أتيت الليلة خلْتُ أنني من سأوجه هذا السؤال إليك.

تُمت ضحكت ثانياً فلم يتمالك آدم نفسه و ضحك هو الآخر ، تُمت إتبته إلي
الوشاح حول رقبته فقال بغضب مصطنع :

• وشاح أحمر أيضاً، يا إلهي، أنتِ لعنة !

كور الوشاح و رماه بعيداً عنه، و نظر إليها فوجدها تنقل النظر بينه و بين
أنحاء المنزل فقال لها :

• ماذا هنالك ايضاً!

• ماذا تعمل بالضبط ؟

• رجل أعمال، ولكن لما هذا السؤال بالتحديد ؟

ردت عليه بخبث :

• بيتك شديد الرفاهية، ظننتك تعمل بتجارة المخدرات!

• حقاً ؟ و ماذا تعملين أنتِ ؟ جاسوسة ؟

ضحكت في رقةٍ ثُمَّ رَدَّتْ في هدوءٍ :

- أعمل بالأمم المتحدة..
- مم و ماذا تعملين بالأمم المتحدة ؟
- آه، أنت تعرف، أسافر مع البعثات لمساعدة الدول الفقيرة، خاصة في أفريقيا، ذهبْتُ إلى دول مثل الكونغو الديمقراطية، النيجر و مالي.
- قالتها ثُمَّ أمسكت كتفها الأيسر و كأنها تتذكر شيئاً ما ..
- إنتبه لما فعلته ثُمَّ نظرت لها في إهتمام قائلاً :
- لم أسألك من قبل عن هذا الجرح ؟
- تاملت في صمتٍ و لم ترد، فقال لها مستدرِكاً:
- لا تخبريني إذا كان هذا من ضمن أسراركَ إياها.
- لا .. ليس الأمر كذلك، هي فقط ذكري مؤلمة بالنسبة لي، و لكنني سأخبرك علي أي حال
- حسناً ولكن لا تضغطي علي نفسك.
- لا بأس.
- من شهرين تقريباً..أرسلتني الأمم المتحدة مع قافلة مساعدات

محملة بالأدوية و الأغذية إلى إحدي القرى النائية بمالي، و أرسلت معنا كالعادة مجموعه من الجنود الدوليين، كما تعرف، من أجل التأمين و الحماية و توزيع المساعدات، بعد أن وصلنا، بدأنا في توزيع المساعدات و علاج المرضى و حصر المشاكل التي يواجهها أهل القرية هناك.

• جميل و ما الذي حدث بعد ذلك ؟

• مرت ثلاثة أيام دون أية مشكلة، حتي إشتعل الموقف فجأة في اليوم الرابع، جاءت الي القرية إحدي الميليشيات التي تسعى للحكم هناك، رغبةً منهم في الإستيلاء علي المساعدات التي معنا، أنت تعرف المشاكل السياسية التي تواجهها مالي هناك، و للأسف حدثت الاشتباكات بين القوات الدولية و بين تلك الميليشيات، و ظلّت الاشتباكات دائرة ما يقرب من الثلاثة أيام، و للأسف قاموا بتدمير المروحية التي جئنا بها.. حاولنا طلب مساندة من القيادة العامة، و لكنهم قالوا إنها ستتأخر لأن الميليشيات كانوا قد إحتلوا جزءاً كبيراً من الأراضي المحيطة بنا هناك، و كان من الصعب علي قوات المساندة أن تحترق الحصار، و بعد خمسة أيام كاملة وصلوا أخيراً. أرسلوا لنا مروحيةً أخرى لنقلنا، كان قد توفي جنديان و طبيب و أصيب خمسة جنود آخرون ممن معنا. قمنا بتحميل كل الجثث و المصابين في المروحية.. كل ذلك و نحنُ تحت خط النار، و ركبنا جميعاً غير مصدقين.

كانت المروحية علي وشك الإقلاع حينما لمحت ذلك الطفل يجري باكياً تجاه جبهة الميليشيات، لا يدري أنه متجه لهلاكه. لم أفكر، فقط وجدتني أغادر المروحية راكضةً ناحيته، حملته و عدتُ به إلي الجبهة الآمنة، حيث وجدت أمه تصرخ و تولول في زعر.. أعطيته لها، و إستدرت عائدةً. في أثناء ذلك لك يكف كل من كانوا في المروحية عن الصراخ لما فعلته، أخذت أركض عائدة ناحية المروحية و لم يكن يتبق إلا مترين تقريباً بيني وبينها حينما وجدتُ شيئاً ساخناً يحترقُ كتفي الأيسر و وجدت الدم يتدفق منه في غزارة، لم أتحمل المشهد و فقدت الوعي في الحال.

.....

بعد أن عدت إلي وعيي وجدتني في إحدي المستشفيات التابعة للأمم المتحدة بالمغرب، و عرفت بعدها أنه بعد اطلاق النار عليّ ، و لكن أنقذني الجنود و أقلعت بنا المروحية بعد ذلك متجهة إلي هناك، و تلك هي قصة ذلك الجرح في كتفي.

• مم، أنتِ شخصية مثيرة للإهتمام .

• لكل منا تجاربه الصعبة.

• هذا صحيح، ولكن كيف تتقبل عائلتك مثل تلك المواقف ؟

• آه..أبي و أمي قد توفيا في حادث حينما كنت في السادسة من

عمري و ليس لدي أشقاء أو شقيقات، تربيت في بيت جدتي
حتي وصلت للسادسة عشر و بعد ذلك إنطلقت لأعيش
بمفردي، و جدتي لا تعرف الكثير مما يحدث في حياتي صراحة.

• أنا آسف بشأن والديك .

• لا عليك، حقيقة أنا لا أتذكر الكثير عنهما ..مجرد ذكريات
مبهمة و لا أفقدهما بتلك الضراوة.

• و لكن لابد أن ذلك منحك الكثير من القوة و تحمل المسؤولية ,

• نعم، هذا صحيح، و لكن هذا جعلني أشعر أنني دائماً أكبر من سني.
أتذكر جيداً أنني لم أعش فترة مراهقتي بالشكل المتعارف عليه.
أنظر! ..الجليد يتساقط من جديد !!

نظر آدم ناحية النافذة ثُمّ نقل بصره إليها و هذه المرة كان ينظر إليها بطريقة
مختلفة..

هي ليست فقط جسد جميل أو ضحكة ساحرة ..

ليست غمازات و عيون أسرة ..

إنها امرأة من حديد، ذات كيانٍ و طموحٍ و مستقبل ..

بكل ما فيها من تناقضات، من جمالٍ وصلابة و مراهقة، تهور و قوة
شخصية.

صوت الأكورديون الفرنسي الذي يعزف في نبرة صوتها..
و ذلك النور الباريسي الذي يشع من عينيها، بل إنها النور في حد ذاته !
سكارلت ..إنها خلاصة كل شيء حلو بباريس !..

مرّت بعد ذلك الساعات و هما يتبادلان الأحاديث و الضحكات
و يتناولان كافة المواضيع في السياسة و الفلك و الفن و الأدب ..حتي
الرياضة ..

و في النهاية تمّددتا بجانب المدفأة و هما يستمعان إلي بعض الأغاني القديمة
لنات كينج كول، نينا سيمون و دين مارتين، حتي دقت الساعة السابعة
صباحاً فغطّتا في نومٍ عميقٍ و هما مازالا يستمعان إلي الموسيقى.

في الحادية عشر صباحاً إستفاق آدم من غفوته ..
نظر حوله فلم يجدها ..و إنتبه أن ذلك الغطاء الذي أعطاه لها ليلة البارحة
كان يغطيه.

إبتسم نصف إبتسامة ثم أزاحه في هدوء، نهض باحثاً عنها، فلم يجدها.
كانت الموسيقى ما تزال دائرة.. فإتجه إلى مُشغِل الأقراص ليطفئه.
وجد صندوقاً أحمر صغير ملفوف بعناية و مرفق معه ورقة مكتوب عليها
بأحمر الشفاه :

هديتي لك في الكريسماس

سكارلت

ملحوظة : لأنك لم تعطني هدية، فنظارتك الشمسية هي هديتي !

فتح الصندوق في سرعة.. فوجد ربطة عنق حمراء بداخلها..
ابتسم مغمضاً عينيه، ثم أرجعها ثانيةً إلى الصندوق وأعادها الي مكانه
بجانب مشغل الأقراص.
شعر بصداع خفيف فاتجه إلى المطبخ ليعد قدحاً من القهوة.. فوجد علي
المنضدة ورقة صغيرة أخرى مكتوب عليه بأحمر الشفاه :

في الثلاجة.. لا تنس فطورك

سكارلت

هرع إلي الثلاجة، فوجد طبقاً كبيراً به قطعتين من الخبز المحمص و طبق صغير به مربى و زبد و كوباً من عصير البرتقال ..
ووجد وشاحها الأحمر بجانب الطبق و به ورقة صغيرة..
إلتقطها فوجدها مكتوبة أيضاً بأحمر الشفاه ذاته :

من أجل أن تأكل بلا خوف

سكارلت

• يالها من مجنونة ! ولكن أين ذهبت و كيف أصل اليها ! لماذا لم تترك ...

رَنَّ هاتفه المحمول فقطع عليه أفكاره، كان صوت رسالة قصيرة ..
إتجه خارجاً من المطبخ متجهاً إلي هاتفه المحمول الذي كان علي إحدي الطاولات

فتح الرسالة و بدأ في قراءتها :

لابد أنك قد إستيقظت منذ مدة ..

تأنق، فسأراك ليلا، ولا تدع الأمطار تبلل ثوباً آخر لي..

سكارلت

حينما دقت الساعة كانت هناك تقف علي بابہ..ضغطت الجرس في رقة
..ففتح لها

كانت ترتدي ثوباً أزرقاً رقيقاً يتناسب تماماً مع لون عينيها، حاملةً في يديها
إكليلاً من الورود الحمراء.

إبتسمت لثعلن عن وجود غمازاتها فإغتالته إبتسامتها بلا رحمة، و لم تنتظر
فدلفت من الباب تحتضنه، فحطمت ضلوعه رقةً و دلالاً..

شبّت كالأطفال بقدميها هامسة في أذنه :

• كم أنت أنيق الليلة !

ثم طبعت قبلةً علي خده الأيمن، وأعطته إكيليل الورود قائله :

• اليوم أحضرت لك وروداً ..مع أن ذلك من واجبك، و لكن لا
تعتاد علي ذلك !

ثُمَّ عادت خطوة الى الوراء قائلة :

• هيا بنا !، ولكن، أين ربطة العنق إياها ؟ ستتناسب مع تلك البدلة تماماً.

• سكارلت، كُنْني عن جنونك ! لن أردي شيئاً أحمرأ و ماهذه الورود الحمراء ! ثُمَّ هيا بنا إلي أين ؟ أتظنين أنني سأخرج معك إلي أي مكان ؟ !

• ستفعل حتماً ..

قالتها بكل ثقة .. ثم تلفتت حولها و اتجهت الي مشغل الأقراص فوجدت ذلك الصندوق في مكانه، أخرجت منه ربطة العنق الحمراء و إتجهت إلي آدم الذي كان ينظر إليها رافعاً إحدى حاجبيه في غضب.

• آدم، سايرني لهذه الليلة فقط، لن تندم، أرجوك !

نفخ ادم في ضيق ثم قال لها :

• حسناً حسناً !

صفقت بيديها قافزة كالأطفال ثم أخذت تخلع ربطة العنق السوداء التي يرتديها و تبدلها بالحمراء، وحينما إنتهت صاحت مبتسمة:

• الآن إكتملت أناقتك ! هيا بنا !

• إلي أين أيتها المجنونة !

• لا تسأل !

تأبطت ذراعه متجهةً إلى سيارة تركن بالخارج.

• سيارة حمراء يا سكارلت ! حمراء !

• نعم , و أنا من سأقود.

أدارت محرك السيارة و إنطلقت بها في قوة ..

مرت ربع ساعة لم يتبدل في الكثير من الكلام حتي وصلت وجهتها.

• سكارلت، ما هذا المكان ؟

• إنه مرصد، مرصد للنجوم و الكواكب

• يالك من رومانسية ! أتيت بي إلي هنا لكي نقوم بعد النجوم ؟

ضحكت بخفة قائلة :

• ليس الأمر كذلك، ولكنني أحب ذلك المكان، وأحببت أن

تشاركني إياه فقط.

• و لكن لما المرصد بالذات ؟ أتحبين الفلك ؟

• نعم، منذ أن كنت صغيرة و أنا أتمني أن أصبح رائدة فضاء و

كدت أن أحقق ذلك الحلم، و لكن ..

أغمضت عينيها للحظة ثم فتحتها قائلةً في هدوء :

• لا عليك، هيا بنا إلى الداخل !

قالها بنبرة مغيرة تماماً عما قبل.. ثُمَّ تَأَبَّطت ذراعة ناظرة له في شغف..
و دخل الإثنين إلى المرصد معاً حاملين مشاعر مختلطة بين نشوة سكارلت
و تردّد آدم.

تكررت بعد ذلك اللقاءات و تضاعفت الهدايا الحمراء المرفق معاها
الأوراق الصغيرة المكتوب عليها بأحمر الشفاه.
إمتلاً بيئته بها يوماً بعد يوم.

تلك القداحة، و ذلك الهاتف المحمول، تلك الساعة الحائطية، قدح
للشاي، قلم حبر، أكايل وروود..كلها أشياء باللون الأحمر.

مرّت الأيام و لم يعرف لِمَا تفعل ذلك، لِمَا تعطيه ولا تأخذ، لم تطلب
منه شيئاً بالمرة، لم تبخل عليه بحبها و مشاعرها يوماً ، برغم أنه فقيرٌ للغاية
بمشاعره معها، فقير إلى حد البرود، لم يعطها يوماً أي شيء بالمقابل، سواء
كانت مشاعر أو هدايا.

كم من مرةٍ توسلته من أجل كلمة حبٍ بسيطة و لم يقلها..

كم من مرةٍ إنتظرت منه أن يفاجئها بوردة واحدة فقط و لم يفعل، و كم من
مرات كثيرة خيب ظنها فيه..

كانت معه كمن يحاول إذابة جبل من الجليد، كانت كمن يتسول منه الحب
و لكن بلا جدوي، و برغم فشلها يوماً بعد يوم، إلا أنها لم تيأس.

حتي جاء ذلك اليوم، كانت قد إتفقت معه علي اللقاء في المساء كالمعتاد..
و حينما دقت التاسعة، كان ينتظرها جالساً أمام المدفأة كعادته.

و لكنه لم يسمع جرس الباب ..ولا تلك الضربة الرقيقة عليه بيديها.
بدأ القلق يتسرب الي نفسه، هي التي لم تتأخر لحظةً عليه أبداً، تتأخر اليوم
عشر دقائق كاملة.

أخرج هاتفه المحمول من جيبه و إتصل بها.
<< الرقم الذي طلبته غير موجود بالخدمة>>

ماذا ! كيف !

جنّ جنونه و حاول الإتصال مرة تلو الأخرى و لكنه ظل يسمع تلك
الرسالة في كل مرة.

نهض متجهاً إلي الباب و أمسك بقبضته و لكنه توقف بضع لحظات
متريداً، ثم ما لبث أن فتحه مغادراً منزله.

اتجه الي الناحية المقابلة، إلي بيت توم وجوليا، لا يعرف ماذا دهاه،
و كيف يفعل شيئاً مثل ذلك، شيء ضد قوانينه الثلاثة، لا حب، لا

أصدقاء، لا ألوان.

يعرف إنه كسر تلك القوانين الثلاثة معها، و لكنه كسرها معها، معها فقط
! وهذا شيء آخر !

كان يكافح ضد أفكاره حينما وصل إلي وجهته أخيراً.

دقّ جرس الباب و رجع خطوتين إلي الورااء مطرقاً برأسه في إضطراب.
مرت نصف دقيقة كاملة قبل أن ينفتح الباب و من ورائه ظهرت جوليا
بوجهٍ شاحب:

- مرحباً، كيف يمكنني أن أخدمك ؟
- أنا..أنا صديق لسكارت، و كنا قد اتفقنا اليوم أن ..أين هي ؟
- قالها متلهفاً و العرق يتصبب علي جبينه ..
- لقد سافرت إلي باريس فجأة.
- باريس ! أليس لديك عنوانها أو حتي رقمها هناك ؟
- لا، أنا آسفة.
- ألم تترك أية رسالة لي ؟ ألم تخبرك شيئاً ؟
- لا
- حسناً، و لكن أخبريني إذا اتّصلت بك ..

• حسناً، سأفعل.

• شكراً سيدي.

قالها و إستدار عائداً الي بيته و قلبه يتمزق، يشعر أنه يحترق من الداخل
آلاف المرات، دخل منزله و أغلق الباب في عنف.

كان يغلي كثورٍ هائج، إمتزجت بداخله مشاعر الغضب و الألم.

وقف أمام تلك المرأة في ركن من أركان بيته، ناظراً إلي نفسه، ثُمَّ نظر إلي
ربطة عنقه الحمراء إياها، فأخذ يخلعها في عنف و رماها أرضاً، ثُمَّ صرخ
في قوة.

• ألبرت! ألبرت !

جاءه ألبرت مسرعاً من الداخل :

• نعم سيدي، ما بك ؟

• دمرتلك الأشياء الحمراء السخيفة التي تملأ المنزل، كلها ! مفهوم؟
كلها يا ألبرت، إحرق ذلك الدنس ! إنسفه نسفاً !

• حسناً يا سيدي..حسناً و لكن إهدأ ؟ و أخبرني ماذا حدث ؟

• لقد هربت يا ألبرت، بعد أن جعلتني أتعلق بها، هربت ! تلك
الساقطة !

- سيدي لا داع لأن...
- ساقطة يا ألبرت ! اذهب الآن و احرق تلك الأشياء ! حالاً!
إجعل البيت نظيفاً كما كان من قبل، بالأبيض و الأسود ..بالأبيض
و الأسود فقط ! كنت مخطئاً حينما تخلّيت عن حذري و كسرت
قوانيني الثلاثة، لا حُب، لا أصدقاء، لا ألوان.

بعد مرور ثلاثة أشهر ..

كان آدم يجلس جلسته المعتادة في غرفة نومه التي إستحالت إلي اللونين
الأبيض و الأسود مجدداً، يستمع إلي إحدَي الأغاني القديمة، و يدخن
سيجاره في بطاء.

دقَّ ألبرت علي الباب في هدوءٍ ثُمَّ دخل.

- سيدي، جئت أذكرك بميعاد البنك اليوم، يجب أن تذهب في
خلال ساعة.

- أعرف يا ألبرت، كنت علي وشك التحرك.

نهض آدم و تناول سترته ليرتديها ثم وضع نظارته الشمسية علي عينيه و
ودع ألبرت و مضى.

حينما وصل آدم البنك وجده مزدحماً كالعادة، فسحب رقماً و جلس علي

أحد المقاعد ينتظر دوره، و لكي يتجنب أن يتحدث معه أحد أخرج سماعات الهاتف ليضعها في أذنيه مستمعاً الي بعض الموسيقى.

كان علي وشك وضع إحدي السماعات في أذنه اليمني حينما تناهي إلي مسامعه صوت ليس بالغريب عليه، كان صوت امرأة تتكلم في هاتفها المحمول :

• الو، نعم..كيف حالك ؟ متي ستدخلين ؟ بعد ساعتين ؟
حسناً، أنا آتيةٌ إليك، فقط أقوم ببعض الاجراءات البنكية و لن أتأخر..

صوتها لم يكن غريباً عليه و لكنه لا يتذكر لمن هو، قرر أن يستدير ليعرف صاحبة الصوت حينما سمعها تتكلم من جديد :

• لا تقلقي، نصف ساعة بالكثير و سأكون عندك، وداعاً سكارلت.

نزل عليه الإسم كالصاعقة، و تذكر حينها أن ذلك الصوت لجوليا.

تسمر في مكانه و خشي إن إستدار أن تراه.

كان يصارع أفكاره، سكارلت..!

إذاً هي هنا و لكن كيف ! ألم تخبره جوليا أنها في باريس!

ألم يطلب منها أن تخبره حينما تتصل بها سكارلت من جديد ..!

قرر أن يقطع الشك باليقين و أن يتبع جوليا كي يعرف في أي مكان تقبع سكارلت.

ظل آدم يراقب جوليا في حذر حتي إنتهت من تخليص إجراءاتها، و غادرت البنك فغادر خلفها، ركبت سيارتها و إنطلقت و إنطلق هو خلفها بسيارته، وصلا الإثنين بعد ١٠ دقائق، و إنتظر آدم قليلاً حتي غادرت جوليا سيارتها متجهةً إلي الناحية المقابلة، كانت إحدي المستشفيات.

إتجه مسرعاً الي داخل المستشفى عابراً بهو الاستقبال الي مكتب الاستعلامات حيث كانت تقف امرأة في الثلاثينيات من عمرها.

• من فضلك، سكارلت أوجستين، في أية غرفةٍ هي ؟

• آه سكارلت، إنها في الغرفة ٨٠٧. هذه السيدة صاعدة إليها الآن.

ثمَّ أشارت بيدها إلي جوليا التي كانت تستقل المصعد.

• شكراً، شكراً جزيلاً.

قلها آدم بلهجة ممتزجة باللهفة و الألم، ثمَّ إتجه إلي المصعد..

و ظل منتظراً عدة دقائق حتي أتاه المصعد و استقله.

بعد أن وصل به المصعد إلي الدور المطلوب، خرج آدم في بطءٍ يسحب قدميه خلفه كمن هو ذاهب إلي غرفة الإعدام .

يعرف أنه يريد أن يراها، و لكنَّ قلبه لا يتحمل ثقل ذلك الشوق الذي يقتله منذ ثلاثة أشهر كاملة، ثُمَّ إنه يعرف الآن أنها مريضة، و لا يعرف ما هي خطورة مرضها، إنه يخشي أن تكون مصابة بال...
تأكدت ظنونه حينما لمحت عيناه تلك اللافتة علي الحائط..

قسم الأورام

تمزَّق قلبه بين ضلوعه و إنتفض في قوة جعلت آدم يهتز و خائته قدماه و كاد أن يسقط أرضًا و لكنّه إستند إلي الحائط، و أكمل السير إلي غرفتها.
كان ينظر يمينا و يسارًا بحثًا عن غرفتها ..

٨٠١..٨٠٢..٨٠٣..٨٠٤...٨٠٥..٨٠٦..٨٠٧

إنتفض قلبه في قوة حينما رأي الرقم، إتّجه إلي الباب في بطءٍ و كاد أن يدهه حتي وجده ينفّث خارجةً منه جوليا.

إرتعبت حينما رآته، لكنها وجدت عينيه كمن تقول لها لِمَا أخفيت عني كل ذلك ؟

فهمت في صمت ..

أطرقت في خضوع تُمَّ رفعت وجهها و الدموع تتساقط من عينيها قائلة:
• أسفة.. لقد أجبرتني..

تُمَّ غادرت بخطواتٍ سريعة تاركةً آدم أمام باب الغرفة يحاول أن يتناسك،
يحاول أن يكون قوياً قبل أن يدخل إليها، إلى سكارلت.

دق الباب مرتين في لطفٍ شديدٍ تُمَّ دلف إلى الغرفة.

كانت هناك ترقد علي السرير، ترنو بعينيها إلى النافذة في صمت.

شاحبة الوجه، شعُرُها الأحمر مازال يتناثر حولها في غجربة تامة، و لكنه صار باهتاً و قد تساقط معظمه، فقدت شفيتها ذلك اللون الكرزي المميز.
و ذلك الضعف يحتل عينيها في قسوة.

وعديد من الأجهزة و المحاليل متصلة بيديها الرقيقتين تغتصبهما في وحشية.
لم يستطع تحمل ذلك المشهد و احتشدت في عينيهِ غيامات و لكنه تماسك.

تنهت هي إلي وجوده فحركت عينيها في بطءٍ تجاهه و إبتسمت في ضعف
• آدم، كيف عرفت ..؟!•

• تتبعْتُ جوليا إلي هنا من دون أن تعرف.

• تلك الحمقاء

قالتا بإبتسامة واهية ثُمَّ سعلت في قوة، فإتجه آدم بسرعه إليها.

• ماذا أحضر لك ؟ ماء ؟

• لا..لا عليك، أنا أفضل الآن..

إقترب من السرير و إنحني ليطبع قُبلةً علي جبينها في رقة، ثُمَّ جلس بجانبها
و أمسك يديها بلطف قائلاً :

• كم اشتقتُ اليك، ظننتكِ....

• ظننتني ساقطة، عشت يومين معك و هربت، أليس كذلك ؟

لم يستطع آدم الرد، نظر إلي يديها ثُمَّ قال :

• الأمرُ كان صعباً عليّ، كدتُ أن أجن، و لم أعلم لما فعلتِ ذلك،
حاولت الوصولَ إليك بشتي الطرق، و لكنك لم تتركي طرف
خيطةٍ واحد يدلني إليك، لماذا لم تخبريني، لماذا ؟

بلعت سكارلت ريقها في بطءٍ ثُمَّ قالت له :

• حان الوقت لكي أخبرك كل شيء، لم يعد هناك وقت للمماطلة.
منذ ثلاث سنوات، قررت أن أتقدم للإلتحاق بناسا، كرائدة
فضاء، أنت تعرف أن هذا كان حلمي، وافقوا عليّ مبدئياً، و
لكنهم إحتاجوا إلي مزيد من الإختبارات و الفحوصات.
و بعد أيامٍ ذهبت لأعرف النتيجة النهائية، تهرب

مني المسؤولون يومها و لم أفهم وقتها لما فعلوا ذلك. كنت أنتظر في إحدى الغرف بانتظار النتيجة، حينما أتى إلي أحد الأطباء الذين أجروا علي الاختبارات، و عرفت منه أن نتائجي كانت مذهلة بإستثناء أن ذلك الورم بدأ يلتهم خلاياي في شراسة، لحظتها إجتاحني الحزن مرتين، مرة لإكتشافي ذلك الورم و مرة لضياح حلمي بسببه. ذهبت بعدها الي إحدى المستشفيات و قمت بعدة تحاليل و فحوصات، و بعد تجربة الكثير من العلاجات و الأدوية قرر الأطباء بأنهم سيقومون بإجراء عملية جراحية لإستئصال لذلك الورم. تمت بعدها العملية بنجاح و تمَّ إستئصال الورم تماماً، و عدت إلي حياتي الطبيعية مرة أخرى. و قررت بعدها أنني أريد القيام بشيء مفيد أكثر لغيري و للإنسانية، و إلتحقت بعدها بالأمم المتحدة و أنت تعرف الباقي. و بعد مرور سنة، عاودتني تلك الآلام مرة ثانية، و لكنني لم آبه بها، حتي حدثت حادثة مالي التي قصصتها عليك من قبل. و حينما دخلت تلك المستشفى، عرفت أن المرض قد عاد من جديد و هذه المرة كان أكثر شراسة و عنفاً عن ذي قبل، أخبروني أنني لم يتبق لي إلا عام أعيشه علي أقصي تقدير.

• تركت بعدها العمل و عدت إلي باريس، لم أرغب في الخوض في مزيد من الفحوصات و العلاجات و العمليات، أردت أن أعيش ما بقي من عمري في سلام.

شعرت أنني بخير و مر شهران حتي قابلتك، وقتها لم أهتم لمرضي،
توهمت كذباً أنني سوف أتحدي مرضي بالحب، و لكن لم يمر
وقت كثير حتي حدثت لي إنتكاسة أخرى، بعدها قررت أن
أبتعد، عرفت أن هذه هي أيامي الأخيرة، و لم أرغب أن تراني
هكذا، سكارلت الجميلة المجنونة المفعمة بالحياة، ترقد في ضعف
بين الموت و الموت !

- أنت مازلت جميلة و سوف تكونين بخير، لا تقلق.
- لست قلقة، صدقني، أنا أفضل من أي وقت مضى، لست نادمةً
علي شيء، و لا أخشي أي شيء، يكفي أن الحياة قد أهدتني
إياك، أعرف أننا لم نقض معاً الكثير من الوقت، و لكن بالنسبة
لي كل يوم عشته معك هو حياة بأكملها.
- إغرورقت عينا آدم بالدموع حينما سمع كلماتها، ثُمَّ إِنْخني مقبلاً يدها،
فتساقطت بعض دموعه عليها.
- ضغطت علي يديه في رقة قائلة بصوت وهن :
- لا تبك، لم أعهد أن أراك هكذا، عهدتك قوياً شامخاً.
- تقصدين قاسياً..
- إبتسمت له سكارلت في رقة قائلة :
- ولذلك حاولت تغييرك..حينما عرفتكَ، فهمت أنك تخفي

شيئاً و هو الذي يجعلك تتصرف بمثل هذه القساوة، كنت فقط تحاول أن تحمي ذلك الطفل الهش بداخلك، لا تريد أن تلين حتي لا تسحقك الحياة تحت تروسها، حاولت أن أحطم تلك الأسوار التي شيدتها أنت من حولك. كنت أحاول و أفشل يوماً بعد يوم، ولكنني لم أياس. كنت أعرف أن ما بنيته أنت في سنين يصعب علي هدمه في أيام. وحينما بدأت أن أصل إلي نتيجة..لم تنصفني الحياة، وأخذتني منك. حاولت أن ألون لك الأيام، أن أخرجك من عالم الأبيض و الأسود...و لكن الوقت لم يسعفني.

كانت تقول كلماتها و آدم يتهدج أمامها بالبكاء، و أخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة :

- أنا آسف..الألوان..هداياك..لقد..لقد أمرت ألبرت بحرقها..
- لا تخف، كنت أعرف أنك ستفعل ذلك لحظة أن تكتشف غيابي، فاتصلت بالبرت قبل أن أغادر لأخبره أن يخبئها في مكان آمن لا أن يتخلص منها.
- كيف ! كيف يمكنك أن تكوني كذلك، أن تكوني سكارلت ! أنا آسف، أعرف أنني كنت وغداً معك، كنت قاسياً، بخلت عليك بالمشاعر، بأقل الأشياء، أعرف أنك حاولت مراراً و تكراراً و تحطمت علي أسواري أحلامك مرة بعد الأخرى. و لكنك لا تعرفين لما أصبحت ذلك الوحش الذي كنت عليه،

لربما تعذريني.

• أخبرني، أما قد كسرنا الاتفاق ؟

قالتها مبتسمةً ببراءة ..

• حسناً، سوف أخبرك قصتي ..منذ عشر سنوات، كنت أعمل شرطياً ضمن قوات مكافحة الإرهاب، وبالأخص في قسم تفكيك المتفجرات والقنابل المفخخة، كنت شرطياً ناجحاً للغاية، ترقيت عاماً بعد عام، وأحبطت الكثير من المحاولات الارهابية في بلدي وقتها. وفي أحد الأيام جاءنا بلاغ بأن هناك قنبلة موقوتة في إحدى مدارس الأطفال، وصلنا إلي هناك في أسرع وقت، وقمنا باخلاء المدرسة وجميع ما حولها من أبنية، و لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة. وجدنا في أحد الفصول مُعلمة و طفلة مقيدتين بإحكام شديد و موصولتين بالقنبلة، و كانت القنبلة من النوع شديد الحساسية للحركة، و لم يتبق إلا دقيقتين علي الانفجار، وجدتني في مأزق شديد، لا يمكن فك المرأة و الطفلة من دون تفعيل القنبلة، و لا توجد حلول أخرى غير تعطيل القنبلة. قمنا باخلاء جميع الشرطيين من المكان ولم يتبق غيري وأنا وشرطي آخر. تبقت ثلاثون ثانية علي انفجار القنبلة وكان أمامي سلكين لتفكيك القنبلة..أحدهما أحمر و الآخر أزرق، كنت أعرف أن علي أن أقطع السلك الأحمر، و لكن شيئاً ما بداخلي كان يقول العكس. تبقت عشرون ثانية و كنت أنقل بصري بين السلكين

و بين نظرات الطفلة و المرأة المرتعبتين، و اتخذت
قراري و قطعت السلك الأحمر أخيراً، و لكن مؤقت
القنبلة لم يتوقف، ١٠ ٩ ٨.. كان مستمراً في العد التنازلي!
كنت أنظر في ذهول الي المرأة و الطفلة حينما وجدت الشرطي الآخر
يصرخ بي ويحملني قافزاً بي من النافذة، خمس ثوان مرت كأنها الدهر!
قفزنا من النافذة رغماً عني، كنت أتابع نظرات المرأة و الطفلة
المستنجدتين بي في ذهول! و انفجرت القنبلة في قوة، و نسفت
ذلك الفصل بالكامل و أطاحت بي أنا و زميلي ما يقرب من عشرة
أمتار، و لكن لم تُصنبا إلا بعض الخدوش و الكدمات البسيطة.
عرفت بعد ذلك أن ذلك الإرهابي الحقير قد بدل ألوان
الأسلاك، و لذلك اخترتُ السلك الخطأ دون أن أعلم.
قررت بعدها أن أستقيل.. و أترك الخدمة، و أن أهاجر إلي بلد آخر.
كان والدي قد توفي تاركاً لي ثروة ضخمة و عدد من الشركات
و العقارات، بعثُ كل شيء و اشتريت عدداً من الأسهم هي
التي أعيش من ربحها الآن، نمتُ لدي بعد ذلك عقدة بسبب
ألوان الأسلاك و قررت أن أعيش حياتي بالأبيض و الأسود.
و قررت الابتعاد عن أي شخص حتي لا أؤذيه.. أو أتسبب في
موته، و عشت بهذه الطريقة عشر سنوات كاملة حتي قابلتك،
و تعرفين الباقي.

• هل تسامحيني علي ما فعلته بك

قالها و هو يمسح الدموع التي غسلت وجهه، كان ينظر إليها مستعطفًا.
كانت تنظر إلي عينيهِ.لم تفارقها تلك الابتسامة،و لكنها لم تُجبه.

• سكارلت ..سكارلت !

نظر إليها في ذهول، كانت عيناها قد فقدت ذلك البريق الذي تحويه.

إقترب منها و حاول هزَّ رأسها :

• سكارلت ! أجبييني أرجوك ..قولي أنكِ سامحتني ..سكارلت!

تحشرج صوته حتي صار أشبه إلي النحيب ..

• سكارلت، أنا آسف، سأرتدي ربطة عنقي الحمراء..سكارلت!
سأهديك وروداً حمراء ..سكارلت !

أخذ يصرخ بإسمها إلي أن دخل طاقم العاملين بالمستشفى و أراحوه بالقوة
عنها، فسقط علي ركبتيه بجانب السرير ممسكاً بملاءته، يبكي بإسمها و هو
يركل الأرض في هستيريا شديدة.

وضع أحد الأطباء إصبعيه علي يديها ثُمَّ هزَّ رأسه نفيًا ناظرًا إلي إحدي
المرضات فقامت بخلع الأجهزة و المحاليل المتصلة بسكارلت ثُمَّ عدّلت من
وضعها في السرير و شدت الغطاء علي وجهها ..وجه سكارلت ..

بعد مرور ثلاث سنوات ..

في أحد الأحياء الراقية بباريس ..

مرّت سيارة سوداء في هدوء حتي توقفت أمام أحد المنازل ..

غادرها رجل يرتدي بدلة سوداء ذات ربطة عنق حمراء و يضع نظارة شمسية علي عينيه..

حتي دخل إلي ذلك المنزل في سرعه..

من داخل إحدي نوافذ البيت المقابل كانت هناك امرأة تراقب الوضع في فضولٍ بحت .. تُمّ صاحت :

• بول ! تعال !

• ماذا هنالك يا صوفي ؟

• ما قصة ذلك الرجل ؟

• آه تقصدين المدعو آدم ؟ ، إنه محبوب ، أتعرفين أن بيته بالكامل بالأبيض والأسود... والأحمر؟!

صندوق زجاج

لا يدري لما يشعر دائماً أنه يشاهد الحياة من داخل صندوق زجاجي..
كأنه يشاهد كل شيء ولكنه لا يستطيع لمسه أو الحصول عليه أو مجرد
الإقتراب منه.

هو يعلم أن ذلك ليس زهداً في الحياة، و ليس كرهاً فيها بلا شك.
هو فقط يشعر أنه مقيد اليدين أمام كل ذلك العالم أمامه.

كان يتابع ذلك المشهد الدائر حوله في صمت تام.

حديقة واسعة يجلس بها العشرات من الناس مستمتعين بدفء الشمس
و هو شيء نادر في شهر يناير.

تنقلت عيناه في كل ركن من أركان الحديقة، و لم تتغير حدة ملاحظه أو
تعبيرات وجهه، لا إعجاب، لا غضب، لا إنهار ولا سعادته ولا حزن أيضاً!
حتى حيناً وقعت عيناه علي تلك الفتاة الجميله في أقصى اليسار.

تركتها عيناه و ذهبت إلي أقصى يمين الحديقة.

كانت هناك مجموعه من الأطفال الكبار أو المراهقين الصغار، هم فقط في ذلك السن، يلعبون كرة القدم في مساحة ضيقة و يبدو أنهم مستمتعين بذلك بغض النظر عن السباب وكمية الشتائم المتبادلة بينهم.

وفي كل مرة ينجح فرد في تسجيل هدف يحتفل فريقه و كأنما قد فاز للتو بكأس العالم..! و تستمر المباراة ما بين تبادل الأهداف و الشتائم، لا تدري أيهما أكثر!

هو لا يتذكر أنه كان طرفاً في مباراة كرة قدم من قبل..!

ليس كمهاجم أو مدافع أو حارس مرمي، ليس حتي كأحد الحكام..!

هو لم يلمس أية كرة من قبل ولو عن طريق الصدفة..!

ثم هل يستطيع اللعب أصلاً؟!!

انتقل بعينه إلي ناحية أخرى من الحديقة، وجد تلك العائلة تتناول إفطارها، أب و أم و ثلاثة أطفال، بنتان و ولد.

تبدوا عليهم علامات السعادة، والجوع أيضاً، لأن كمية الشطائر اللي تناولوها حتي الآن تكفي لإشباع الصومال بأكملها.

قال الأب شيئاً و ضحكوا هم لما قاله، يبدو أنه ألقى نكتة أو قال شيئاً طريفاً.

مرّت الدقائق و مازالوا علي ذلك الحال.. شطائر و ضحكات ..و المزيد من الشطائر و الضحكات .

لا يتذكر متي كانت آخر مرة خرج فيها مع عائلته..! أو ضحك فيها معهم!
لا يتذكر حتي ان كانوا جلسوا معاً من قبل ليتناولوا الافطار أو يشاهدوا التلفاز! و هل لديه أصلاً عائلة؟!

انتقل ببصره الي ذلك الشاب الذي يجلس حاملاً غيتاراً يعزف عليه و يغني و حوله عدد من أصدقائه، يصفقون و يغنون معه، تبدأ أغنية و تنتهي، لتبدأ غيرها .

يشاهد و يتأمل، لماذا لم يكن له أصدقاء كهؤلاء من قبل ؟

لماذا لم يعزف من قبل علي غيتار أو أي آلةٍ أخرى ؟

لماذا لم يغنٍ من قبل؟ و هل يستطيع الغناء أصلاً ؟

انتقل ببصره الي شاب و فتاه يجلسان في ركنٍ من أركان الحديقة، يتهامسان ..يتذاحكان ..يتداعبان، في عيونهما أشياء يعجز الكلام عن

وصفها، تتشابك أيديهما في خجل.

ترمي برأسها في دلالٍ علي كتفه،فيداعب شعرها في رقة، و يذوب كل منهما في الآخر.

يتساءل هو ما الذي يربط بينهما ؟ و لما لم يفعل مثلهما من قبل ؟

أ تلك هي المشاعر التي يسمع الجميع يتحدثون عنها ؟، أ ذلك هو الحب ؟
هو العشق ؟ لماذا لم يحب من قبل ؟ لماذا لم يعشق ؟

و اذا كان لكل شخص شخصٌ آخريكملة...فأين هي نصفه الآخر ؟

و هل يستطيع أصلاً أن يُحب ؟

أسئلة كثيرة عصفت بعقله دون أن يعرف لها اجابة.

عادت إليه تلك الفكرة مرة أخرى.

لماذا يشعر دائماً أنه يشاهد العالم من داخل صندوق زجاجي، لماذا؟!

لماذا ؟

شعر بآلم في ذراعه الأيسر، حاول أن يمسه بيده اليمني فلم يستطع..

حاول أن يدير رأسه فلم يستطع، تألم و لم يستطع حتي أن يغمض عينيه.

• عاجبك كدة ؟ أديك خلعتِ ذراعه...إتصرفي و ركبیه بقي قبل

ما يبجي صاحب المحل و يخرب بيتنا إحنا الجوز !

• يوه..طيب طيب ..و إنتِ اطلعي لمعي الإزاز من برة !

خرجت الفتاة الأخرى لتنظف واجهة زجاجية كبيرة ..

رجعت خطوتين إلى الوراء ناظرة إلى تلك الواجهة الزجاجية التي قد لمعتها للتو، يظهر من ورائها ذلك المانيكان الذي إنخلع ذراعه منذُ قليل .

ثمَّ ترفع الفتاة عينيها إلى تلك اللافتة التي تعلو الواجهة الزجاجية .

لافتة كبيرة تتوسطها جملة ” بوتيك ساندي ”

سوق عذاب البشر

كانت الشمس علي وشك أن تودع تلك المدينة الغارقة في الصمت، ليبدأ
ليلٌ آخر من ليالِ المعاناة الأبدية.

حينما إستيقظ ذلك الشاب من غفوته، فتح عينيه ببطء متلفتاً حوله،
ليجد نفسه ملقاً علي الأرض في أحد الأزقة الضيقة.

حاول النهوض و لكن خذلته قدماه، في بطءٍ شديد زحف إلي الخلف و
جلس مستنداً الي أحد الحوائط.

تنبه الي ملابسة الممزجة بالدماء، فتسارعت نبضات قلبه.

حاول النهوض مرة أخرى مستنداً الي صندوق قمامة بجانبه، و لكن
اصطدمت يده بشيء، و سقطت رأس آدمية بين قدميه، محظت عيناه في
ذعر و فتح فمه محاولاً الصراخ حينما وجد يداً تكتم أنفاسه في قوة..

• إياك أن تصرخ ! سيجلبهم صُراخك إلي هنا ! الشمس أوشكت
علي الغروب و سنصبح صيداً سهلاً لهم ! سأزبح يدي من علي
فك..و لكن اهدأ !

أزاح ذلك الغريب يده من علي فم الشاب ثم استطرد قائلاً :

• إسمي بروس و أنت ؟

لم يرد عليه الشاب و إنما رفس تلك الرأس القابعة بين قدميه مبعداً إياها عنه في دعر ثم نظر إلي بروس قائلاً :

• إسمي يزيد، عن أي شيء كنت تتحدث ؟ قلت سنصبح صيداً لهم !

رفع بروس حاجبه في إستغراب قائلاً :

• هل فقدت ذاكرتك ؟ ألا تعلم أننا نعيش ذلك الخطر منذ خمس سنوات كاملة !

أجابه يزيد في عدم فهم :

• أي خطر ؟

• الزومبيز ! و تلك الرأس التي رفستها كانت لواحدٍ منهم ! قتلته أنا منذ قليل !

• زومبيز ! أتعني أولئك ال ...

• نعم .. الموتى الأحياء !

• و لكن .. و لكن كيف !

- ألا تتذكر؟
- لا أتذكر أي شيء، إسمي فقط !
- غريبة ! لعلك تعرضت لحادث أو سقطت علي رأسك و أنت تركض هارباً من تلك الأشياء !
- إحتمال ! و لكن كيف حدث هذا ؟ أعني الزومبيز ؟..
- منذُ خمس سنوات، إجتاح الفيروس المدينة، و منها إلي المدن المجاورة ثُمَّ إلي العالم بأكمله، و لكن كيف بدأ و من أين أتى، لا أحد يعرف بالتحديد، البعض يقول إنه فيروس تمَّ صنعه عن طريق إحدي الشركات كسلاح بيولوجي و لكن تمَّ تهريبه و حدث ما حدث، و البعض الآخر يقول أنه أتى من الفضاء، مع إحدي المذنبات الساقطة علي الأرض.
- ثُمَّ إستطرد مبتسماً بسخرية :
- و بعضهم يذهب إلي فرضية أنه عقاب من الرب !
- أعتقد أنني أميل الي الاحتمال ال...
- ششش ! أسمع !
- إنتبه الإثنان إلي صوتٍ وقع أقدام تتحرك بتثاقل كأن صاحبها يزحف لا يمشي، كان الصوت آتياً من الشارع الرئيسي مقرباً من نهاية ذلك الزقاق.

إستطرد بروس هامساً :

• إنه واحد منهم، سننتظر حتي يمر، ثُمَّ نبدأ في التحرك في الجهة العكسية، ليختبيء كل منا خلف إحدي صناديق القمامة و لنتمني ألا يغير إتجاهه و يدخل الزقاق، هيا !

في صمت إختبئا الإثنان وراء صندوقي قمامة يواجه كل منهما الآخر، و إقترب وقع تلك الأقدام مصاحباً له صوت أنين ممتزج بالنواح.

كان الصوت رهيباً بحق، أغمض يزيد عينيه كاتماً أنفاسه في تربص.

مرّت اللحظات عليهما ثقيلة كدهر، يخترق آذانهما صوت ذلك الأنين المخيف.

و بدا لهما أنه إقترب من عبور الزقاق حيناً.....

• تشششت ... أبي .. تشششت .. أين أنت ؟

كان الصوت يأتي من جهاز إتصال لاسلكي بحزام بروس.

توقف ذلك الزومبي في مكانه، ثُمَّ عدّل إتجاهه واقفاً علي أعتاب الزقاق، و أخذ يصرخ و يئن و لكن بصوت أعلي، ناظراً إلي الاشياء تتدلي عنقه علي كتفه بشكل كابوسي .

بحظت عينا يزيد و هو ينظر إلي بروس في ذعر، و لكن الآخر هز رأسه بطريقة ذات مغزي عرف منها يزيد أنه لا فائدة من الإختباء بعد الآن.

• أركض !

صرخ بروس في قوة ثم نهض يركض، أخرج جهازه اللاسلكي من حزامه و ضغط زرّاً..

• أشلي ! أنا هنا، لا تخافي، دقائق و أكون حاضراً

• حمداً لله أنك بخير، ظننتك...!

• لا، اطمئني و لكنني سأغلق قناة الاتصال الآن، وداعاً

• وداعاً أبي ..خُذ حذرك !

كان يتحدث مع إبنته و هو يركض و بجانبه يركض يزيد هو الآخر، كانا قد أوشكا علي الوصول لنهاية الزقاق حينما توقف يزيد عن الركض فجأة

• انتظر !

قالها يزيد في جدية، فقلل بروس من سرعته و هو يركض ناظراً خلفه الي يزيد..

• هل أنت مجنون ! لما توقفت ! هيا أسرع!

• لا ..هناك خطب ما ! أنظر إلي الزومبي، لم يتحرك قيد أنملة ! لم يأت وراءنا ! و لكن أنينه وصرخاته تتعالي !

توقف بروس عن الركض لاهتأ و نظر إلي يزيد في ذهول قائلاً :

- يا إلهي ! إنه الزومبي الألفا !
- ماذا تعني ؟
- إنه قائد المجموعة !
- مجموعة ؟ أتعني !
- نعم، إنه يستدعي باقي المجموعة، إنه ينادي علي أقرانه، و هذا دليل أدعي لكي نسرع لا ننتظرهم هنا كالبلهاء و نصير وجبة شهية لهم ! هيا !
- لا أظننا يجب أن نذهب في ذلك الاتجاه !
- لماذا ؟
- لأنهم جاءوا إلينا
- قلها يزيد ناظراً الي ما خلف بروس، فاستدار بروس في بطاء ليجد عشرات الزومبيز تسد النهاية الأخرى من الزقاق، و هتف يزيد :
- لقد خدعنا ! ..
- سدّ ناحية و جعلهم يأتون من الناحية الأخرى !؟
- بالضبط ! ماذا نفعل الآن !
- تلفت بروس حوله حتي وقعت عيناه علي شيء .

- هيا بنا ..هناك سلم يتجه الي سطح تلك البناية !
- كان سلم عمودي من الحديد الصديء، ركض الاثنان ناحيته.
- نظر اليه بروس في قلق ثم التفت الي يزيد قائلاً :
- فلتصعد أنت أولاً و سأصعد خلفك.
- و لكن ...
- لا تقلق، إن حركتهم بطيئة كما تري، و لكن عليك أن تسرع أيضا!
- حسناً حسناً.
- أمسك يزيد السلم ثم بدأ في الصعود، كان بروس بالأسفل ممسكاً بسيف صغير يشبه المنجل، يلتفت يمينا و يساراً إلي نهايتي الزقاق في تربص، و الزومبيز يقتربون أكثر فأكثر .
- أتاه صوت يزيد بعد لحظات :
- هيا أسرع !
- أغمد بروس سلاحه ثم بدأ في الصعود هو الآخر.
- بروس، هل سيتحملنا ذلك السلم الصديء !
- أتمني ذلك !
- ألن يأتوا وراءنا ؟

• لا، ليسوا بتلك اللياقة، صحيح إنهم ملاعين ولكن آآآآآآ

صرخ بروس في قوة ناظراً إلي الأسفل، كان ذلك الزومبي قد إرتقي درجتين من السلم و أمسك بإحدي أقدام بروس في قوة محاولاً شده إلي أسفل.

كان يزيد قد وصل الي سطح البناية و أخذ يراقب المشهد من أعلي..

• حاول أن تتخلص منه، أعدادهم قد بدأت في التزايد بالأسفل!

كان بروس يحاول أن التملص من يد الزومبي و لكن بلا فائدة.

و شعر أن قوة الجذب تزداد، لم يكن هناك مفر!

كان يزيد مازال يتابع ما يحدث في ذعرٍ حينما تخلي بروس عن الإمساك بالسلم بإحدي يديه ثُمَّ

<<بوووف>>

إستقرت رصاصة في منتصف جبهة الزومبي فأفلتت يده قدم بروس و سقط فوق أقرانه المتجمهرين أسفل السلم.

لم يفهم يزيد ما حدث حتي وقع بصره علي ذلك المسدس كاتم الصوت الذي يمسكه بروس بيده التي تخلت عن إمساك السلم.

زفر في قوة صارخاً في بروس :

• هيا ..لقد بدأ غيره في الصعود !

• الملاعين! إنهم يتطورون جيئاً ! في خلال سنتين سيقودون سفن فضاء !

وصل بروس أخيراً إلى سطح البناية، و من ورائه كان هناك إثنان من الزومبي.

أخرج فأساً كانت مربوطة وراء ظهره، ثمَّ ضرب بها علي المسامير التي تربط السلم بالبناية، ضربة، إثنين، ثلاث، ومازال السلم متصلاً، و اقترب ذلك الزومبي أكثر فأكثر.

وصل أول زومبي إلى قمة السلم و إمتدت يده تطال بروس حيناً نجح الأخير في تحطيم المسامير و إنهار السلم ساقطاً إلى الأسفل حاملاً معه أولئك الزومبيز و هم يصرخون في وحشية.

إستندا الإثنان إلى سور البناية جالسين أرضاً في إرهابٍ و تعبٍ شديدين.

• و الآن.. ماذا نفعل ؟

قلها يزيد و هو يمسح العرق الذي بلل جبهته و خصلةً من شعره.

• سنتجه الي المخبأ الآن، من حُسن حظنا إنه بالبناية المجاورة، و هي ملتصقة بتلك البناية.

• حسناً، هيا بنا، أسرع قبل أن يفكروا في القدوم إلينا عن طريق سلم البناية الرئيسي.

- أنت محق، إنهم ملاعين !
- لملم بروس أسلحته و عدته ثمّ إلتفت إلي يزيد ماسكاً في يده سيفاً صغير.
- يجب أن تحمل سلاحاً، قد تحدث مفاجأة في أية لحظة ويجب أن نكون مستعدين !
- شكراً لك.
- إبتسم له يزيد و هو يتناول السيف من يده.
- أخرج بروس الهاتف اللاسلكي من حزامه و ضغط زرّاً :
- ألو، أشلي، نحن قادمان الآن، لا تقلقي.
- نحن ؟ من معك يا أبي..تششت ؟
- إنه أحد الناجين، وجدته منذ قليل.
- هل تأكدت تششش إنه غير مصاب بالعدوي يا أبي !؟
- نعم..لا تقلقي، انتظريني بعد قليل، وداعاً بنيّتي.
- وداعاً أبي.
- إنطلقا بروس و يزيد متجهين إلي المخبأ، حينما بدأ الليل في إسدال أستاره علي المدينة، عبرا السور إلي البناية المجاورة ثمّ إستقلا الدرج الداخلي، حتي وصلا إلي الدور الأرضي.

أضاء بروس كشافاً صغيراً ثُمَّ نظر إلى يزيد قائلاً :

• ها نحن قد وصلنا.

تلفت يزيد حوله في عصبية فوجد مدخل البناية مسدوداً بقوائم خشبية و خلفه ثلاجة قديمة مقلوبة علي أحد جانبيها.

• لطيف ..وصلنا الي أين بالضبط ؟

قالها يزيد بإستهزاء واضح، فردَّ عليه بروس بهدوء :

• أنت عديمُ الصبر.

ثُمَّ إتجه خلف الدرج و صفّر مرتين، لم تمرّ لحظات حتي إنفتح باب خشبي إلى الأسفل، و ظهرت من ورائه فتاة تبدو في العاشرة من عمرها.

• هيا يا يزيد !

قالها بروس و هو ينزل درج السرداب، و من ثم وصل إلى قاعه ثُمَّ حمل إبنته و إحتضنها في قوة.

• أشلي، آسف، تأخرتُ عليك، ولكنني كدت أن أكون وليمة لتلك الأشياء.

وصل يزيد هو الآخر فنظرت إليه أشلي قاطبة حاجبيها في ريبة ثُمَّ إلتفتت إلى أبيها قائلةً :

- من هذا يا أبي ؟
- إبتسم بروس إبتسامة غامرة قائلاً :
- لقد وجدته منذ قليل، و يبدو أنه لا يتذكر أي شيء، إنه شخص لطيف، لا تقلقي، رجلي به!
- أهلاً يزيد.
- أهلاً آشلي، إسمك جميل.
- شكراً
- حدجته بنظرة يملؤها الشك ثم استدارت تاركة إياه.
- أعذرهما، فهي لم تر أشخاصاً غيري منذ وفاة والدتها.
- قلها بروس هامساً
- لا تقل أنها قُتلت علي أيد أولئك ال...
- للأسف.
- قلها بروس مُغمض العينين، ثُمَّ إستطرد مشيراً إلي آشلي قائلاً :
- و لكنها بالكاد تتذكر أي شيء، كانت ما تزال في الرابعة.
- أنا آسف.

• لا عليك، إسمع ! سنقضي الليلة كما نحن ثُمَّ سنخرج في الساعات الأولى من الصباح للبحث عن الطعام، خرجت اليوم من أجل ذلك، و لكنني وجدتك و أنت تعرف الباقي طبعاً.

• مم.نعم.

• فلتسترح.

• حسناً.

افترش ثلاثهم الأرض و غطّوا في ثباتٍ عميق، ناسين أو متناسيين الأخطار المحدقة بهم بالخارج.

بعد مرور ساعتين ..انتفض يزيد من نومه تتسارع نبضات قلبه متلفتاً حوله في ذعر ثم مال علي بروس مرتبطاً عليه برقٍ هامساً :

• بروس!بروس، إستيقظ، لدينا زائرون !

انتفض بروس في قوة شاهراً سيفه

• ماذا، أين، كيف ؟!

• ششش، إسمع، بالأعلي!

إتبه بروس إلي وقع تلك الأقدام أعلي السرداب ..بالدور الأرضي.

- يا إلهي ! لقد تبعونا إلي هنا كما توقعت.
- نعم !
- وكيف وصل بنا الغباء الي ترك باب سطح تلك البناية مفتوحاً!
- كيف !
- المهم الآن كيف سنقاتلهم، لابد أنهم بالعشرات
- و ليس لدي ما يكفي من السلاح، سيفان، فأس، بضع رصاصات و قنبلة ! ربما، ربما علينا فقط أن نصمت، حتي....
- حتي ماذا؟ يعودوا أدراجهم ؟ لا أظن ذلك ..لقد تتبعوا رائحتنا حتي هنا و لن يلبثوا أن يكتشفوا أننا نزرح تحت أقدامهم ..
- إذأً، فيما تفكر ؟
- قلت أن لديك قنبله، صحيح ؟
- نعم.
- حسناً ..أعطني اياها.
- قلها في تحدٍ و هو ينظر إلي أعلي
- ماذا ستفعل !
- سوف أذهب في رحلة.

- لا، لن تفعل !
- صدقني، هذا هو الحل الوحيد، ثُمَّ أَنِّي من تسببتُ لكم في كل هذا، و أنا وحدي من يجب أن يتحمل نتيجة أخطائه.
- و لكن
- قالها بروس ناظراً الي يزيد في أسي.
- لست نادماً علي ما أنا مُقدم علي فعله، لديك ما تخسره ..أما أنا ، فليس لدي شيء..علي الأقل لا أتذكر ذلك.
- ، ثُمَّ نظر إلي آشلي النائمة و إبتسم مكماً :
- إعتنِ بها جيداً، و الآن، حاول أن توقظها برفق و أن تسد أذنيها.
- سوف أخرج لهم، حينما يحدث الانفجار، لا يجب أن تنتظر كثيراً
- لأن صوت الانفجار سيجلب المئات منهم إلي هنا بلا شك.
- إغرورقت عينا بروس بالدموع و إحتض يزيد في قوة باكياً :
- أنا آسف، شكراً لك، شكراً لك!
- ربت يزيد علي كتفي بروس في رفقٍ ثُمَّ جثي علي ركبتيه ليقبل آشلي في رقةٍ حينما تهادت إلي مسامعه أصوات وقع الأقدام و الأنين التي تتزايد،
- أغمض عينيهِ و نهض ثُمَّ نظر إلي الأعلى قائلاً الي بروس :
- حان الوقت !

إتجه إلي الدرج المؤدي إلي أعلي و إستقله في هدوء، حتي وصل إلي قته.
نظر إلي بروس نظرة أخيره، ثُمَّ نزع فتيل القنبله و فتح باب السرداب و
قفز إلي الأعلي.

كان بروس قد أيقظ آشلي و إحتضنها في قوة و هي تتساءل :

• أين يزيد؟

رد عليها بروس متألماً وهو مغمض العينين :

• إنه بالأعلي، يرحب ببعض الزائرين.

أتاه صوت يزيد بالأعلي ممتزجاً بأنين و صرخات الزومبيز الجائعة :

• مرحباً يا أوغاد !!!

ثُمَّ حدث الانفجار ..

في أحد الأماكن الغير معلومة علي كوكب الأرض في عام ٢٠٥٠.

في إحدى الغرف الكبيرة في الطابق التسعين من إحدى ناطحات
السحاب الشاهقة، إنطلقت صفارة إستعداد تبعها صوتٌ أنشوي يتحدث
بطريقة آليه لطيفة :

- مرحباً بعودتكم ! نرجوا أن تكونوا قد إستمتعتم بالتجربة و حصلتم علي أكبر قدر ممكن من المرح! أنتم في المحاكي رقم ٥ لتجربة الزومبيز! شكراً لكم ..

كانت غرفة بيضاء سداسية الشكل، ذات إضاءة قوية تنبعث من جميع جوانبها، تتشكل أنسجة حوائطها علي هيئة شبيهة بهيئة بخلايا النحل.

بها سرير طبي يقع في منتصفها تماماً، بجانبه العديد من الأجهزة غريبة الشكل، يرقد علي السرير شاب يبدو في الثلاثينيات من عمره، تتصل برأسه و يديه و قدميه تلك الأجهزة عن طريق مجسات دقيقة تلامس جسده.

فتح عينيه في بطءٍ متلفتاً حوله، ثُمَّ نهض جالساً حيناً إنفتح باب الغرفة و دلفت شابة ذات شعر أسود طويل، تضع عوينات طبية أنيقة، و ترتدي معطفاً أبيضاً فوق ملابسها، تحتضن بين يديها ملفاً له غلاف أزرق اللون.

اتجهت اليه مبتسمة :

- مرحباً بعودتك.

- شكراً دكتورة كارلا، و لكن ماذا تفعلين ؟ !

كانت قد بدأت في ضغط عدداً من الأزرار في الأجهزة التي بجانبه، ثم بدأت في نزع تلك المجسات المتصلة بجسده، فأصدرت أزيزاً مميزاً.

- كما تري، أفصل عنك الأجهزة !
 - و لكنني أريد خوصَ تجربة أخرى !..
 - مستحيل، مؤشراتك الحيوية تشير إلي أن جسدك يكاد أن ينهار.تحتاج الي الراحة و بشدة.
 - و لكن!
 - قلت لك مستحيل، و الآن إنهض، يمكنك أن تخوض تجربةً أخرى بعد يومين.
- تركته مبتعدة ثم توقفت و إستدارت مواجهةً إياه
- لماذا تُنهي تجاربك كلها بالإنتحار ؟ هذه التجربة الثالثة و الستين التي تنهيها بالإنتحار !
 - أنا لم أنتحر، لقد ضحيت بنفسي، و كان هذا هو الحل الوحيد و إلا سنهلك ثلاثتنا أو نتحول الي زومبيز !
 - هناك مشاركون غيرك خاضوا التجربة و قاموا بإنهائها بدون أن يموت أحد.
 - أنا لا أعرف بشأنهم و لكنني كنت مجبراً، ربما لو أدخلتني إلي المحاكم مرة أخرى بدون أن أفقد الذاكرة لتفاديت أسباب فشلي في المرات السابقة !

- هذا غير ممكن، أنت تعرف القوانين جيداً، يجب أن تكون فاقداً للذاكرة حينما تخوض التجربة، كي تصبح رداً فطرياً مئة بالمئة، كأنك تعيشها بالفعل، وإلا فأين المتعة؟
- كاد أن يلتهمني عشرات الزومبيز بالداخل و يتحدثين عن المتعة؟
- قالها بإستهزاء ثم نهض من السرير متجهاً إلى خارج الغرفة ، ففتفت به :
- يزيد، حاول ألا تمُت في المرة القادمة.
- لم يرُدَّ يزيد و إنما إبتسم لها في هدوء و ترك الغرفة ..

بعد مرور يومين عاد يزيد إلى تلك البناية، كان يقف أمام ناطحة السحاب يتأملها، ثم دلف إلى الداخل، كانت قاعة كبيرة، إزدحمت بالآلاف من البشر، يصطفون في طوابير حول عدد من المصاعد، ينتظر كل منهم دوره في تلهُف.

في وسط القاعة كانت هناك لوحة إعلانية ضخمة تحمل صورة ثابتة لوجه فتاة ذات شعر أخضر مصفف بشكل غريب، ثم ما لبثت أن أصبحت الصورة مفعمة بالحياة و أخذت تتحدث بذلك الصوت الأنثوي الآلي الذي عهدته في غرفة المحاكى:

• مرحباً بكم في ((سوق عذاب البشر)).. هنا سوف تجدون آلاف آلاف
التجارب المليئة بالمرح، الرعب، الإثارة، الحب، الغموض والعذاب
نرجوا أن تحصلوا علي أكبر قدر من المتعة و أن تكررُوا زيارتكم
لنا من حينٍ إلي آخر، شكراً لكم !

ثُمَّ عادت الصورة إلي وضع الثبات مرة أخرى.

إستقلَّ أحد المصاعد مع عدد من الناس، كان المصعد الواحد يتحمل
فوق المئة شخص، وصل بعد دقيقة إلي وجهته، الطابق التسعون.

خرج من المصعد و منه إلي غرفة الاستقبال التي كان يملؤها العشرات من
الناس جالسين علي مقاعد الإنتظار.

إتجه إلي آلة غريبة في ركنِ الغرفة، كانت تشبه إحدي ماكينات صرف و
توزيع المياه الغازية و الشيبس، و لكن بدلاً من ذلك كان بها شاشة كبيرة
تعمل باللمس، تُمكن المستخدم من اختيار التجربة التي يريد خوضها.

أخرج بطاقة الإئتمانية و مرَّرها في إحدي فتحات الماكينة ثُمَّ قام بعدة
إختيارات و جلس علي أحد المقاعد منتظراً دوره هو الآخر .

بعد نصف ساعة رأي الدكتور كارلا قادمة من بعيد، محتضنة بين يديها
ملفاً كبيراً له غلاف أزرق اللون.

و لكن إستوقفها أحد الأشخاص و أخذ في الحديث معها، ثُمَّ أخذاً يتها مسان و يتبادلان الضحكات، بعد دقيقتين نظر ذلك الشخص في ساعته و ودّعها و مضى.

نظرت كارلا من بعيد إلى يزيد ثُمَّ إقتربت منه مبتسمة.

- مرحباً، كيف حالك اليوم ؟
- أنا بخير، و أنت ؟
- بخير، جاء دورك، و لكن لابد أن نجري عليك بعض الفحوصات، أنت تعرف الاجراءات الروتينية بالطبع.
- بالتأكيد

إتجه الإثنان سوياً الى أحد الغرف ثُمَّ تمدّد يزيد علي سرير بمنتصف الغرفة، ضغطت كارلا علي عددٍ من الأزرار في الأجهزة المقترنة بالسرير، ثُمَّ أخذت عدداً من المجسات و قامت بتوصيلها برأس و يديّ و قدميّ يزيد . أصدرت الأجهزة أزيزاً متقطعاً، و بعد نصف دقيقة نظرت كارلا إلى يزيد قائلة :

- حسناً، وظائفك الحيوية جيدة، يمكنك خوض التجربة، و لكن لا أعلم لماذا اخترت هذه التجربة بالذات ، دائماً ما تختار تجارباً كابوسية!

- كل منا له إختياراته المفضلة.
 - حسناً و لكن حاول ألا تُمُت !
 - مع من كنتِ تتحدثين ؟
 - تقصد من؟ آه منذ قليل ؟
 - نعم.
 - إنه الدكتور فاريل، يعمل بنفس طاقي.
 - آه..حسناً، هلا بدأنا التجربة ؟
 - حسناً، إستعد
- قالها كارلا ثم أخذت نفساً عميقاً و ضغطت أحد الأزرار ثم غادرت الغرفة.
- إنطفأت كل أنوار الغرفة ثم إنطلقت صفارة إستعداد تبعها ذلك الصوت الأنثوي الآلي من جديد:
- إنتباه، أنت علي وشك القيام بتجربة جديدة، و القواعد كما هي ، يجب علي المشارك الصمود لأطول وقت ممكن! ليس لديك سلاح، غذاء أو دواء، ستضطر للبحث عنهم أو تصنيعهم داخل التجربة! لا يوجد طريقة للخروج من التجربة سوي بإنهاءها بنجاح أو بالموت! شكراً علي استماعكم للإرشادات! نرجوا أن تستمتعوا بالتجربة و تحصلوا علي أكبر قدر ممكن من المرح، أنتم في المحاكي

رقم؛ لأدغال الأمازون ! سيبدأ الآن العد التنازلي لبدء التجربة !

١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ انطلاق !...

إستيقظ يزيد و فتح عينيه ببطء، ليجد نفسه ممدداً علي أرضٍ عشبية، نهض جالساً، ناظراً إلي ما حوله، يشاهد تلك الأشجار العالية التي لا يطاق بصره نهايتها، و أغصان النباتات ذات اللون الأخضر الداكن الملتفة علي بعضها موحية بالخطر، و ذلك البصيص من الضوء الذي يدخل علي استحياء من بين فروع و غصون النباتات المتشابكة و الأشجار الضخمة.

كان يسمع أصوات الطيور الاستوائية و يشتم تلك الروائح المطيرية.

• يا إلهي.. ما الذي أتى بي الي هنا !

نهض واقفاً ثم أخذ يسير بحذرٍ مجتازاً الأشجار و الغصون غير مصدقٍ ما يري حوله.

بعد مُضي ساعتين و أكثر من السير وسط تلك الغابات توقف مستنداً الي إحدي الأشجار و أخذ يمسح العرق المتصبب علي جبينه.

• لابد أن أبحث عن مصدرٍ للماء، لابد أن هناك نهر قريب.

قاطع أفكاره صوت ذلك الفحيح الذي يأتي من يساره، كان يعرف مصدر ذلك الصوت، أدار رأسه ناحيته ببطءٍ شديد، كانت كوبرا فضية متوسطة

الحجم تتدلي من أحد فروع الأشجار و تستعد للهجوم عليه.

تستمر في مكانه ناظراً إليها في هدوء، يعرف أن أي ردة فعل مفاجئة ستنتج عنها نهايته، فهذه الأفعي ليست من النوع الذي يلدغ بأنياه، إنها من النوع الذي يبصق السم في عيون الضحية، هذا شيء جيد، لا يدري كيف يعرف معلومة كتلك، و لكنه فقط يعرف.. شيء ما في ذاكرته المفقودة، في غريزته يخبره بذلك، يعرف أنها ستنفذ هجومها في أي وقت الآن، وكان عليه أن يفكر سريعاً ماذا سيفعل، وبعد لحظات كان قد قرر و بدأ التنفيذ بالفعل.

• هيا يا يزيد !

أغمض عينيه في قوة لكي لا يطالها السم، ثم إرتمي في سرعة إلى أحد الجوانب، وسقط أرضاً و هو يشعر بسم الأفعي يرتطم بجبهته، مسح ذلك السم بأحد أكممه و هو مازال مغمض العينين، فتح عينيه ببطء و تلفت فوجدها مازالت متدلية من نفس المكان منتظرة لتنفيذ هجومها الثاني بعد أن فشل هجومها الأول.

كان جالساً علي الأرض قليل الحيلة، يعرف أنه من الصعب أن يفلت هذه المرة من هجومها الثاني، و لابد أنه سيكون أكثر شراسة من الهجوم الأول.

بدأت تتحرك ناحيته زاحفةً علي أحد الفروع، دون أن تُزيل بصرها من عليه، أخذت نبضات قلبه في التسارع، ينظر إلي تلك الأفعي في إستسلام.

مرت اللحظات و هي تقترب منه، وصلت الي أحد الأفرع فوق رأسه مباشرة، و كان الهرب هذه المرة مستحيلاً، يعرف أن لحظة الهجوم اقتربت، أغمض عينيه و كتم أنفاسه و....

شعر بشيء يسقط أرضاً بجانبه و صراخ حيوانٍ لا يدري كنهه، فتح عينيه في حذر فوجد تلك الأفعى تتلوي بين فكي نمس يقبض عليها في قوة، ظلت تتلوي حتي هدأت تماماً.

ركض ذلك النمس مبتعداً قابضاً علي جثة الأفعى بين فكيه، كأنها لعبة، بعد أن كانت منذ دقيقة فقط من أخطر أسلحة تلك الغابة.

تنهد يزيد في إرتياح غير مصدق أن ذلك النمس الصغير قد أنقذه للتو من تلك الكوبرا التي كادت أن ترسم ملامح نهايته ببشاعة.

• يجب أن أصنع سلاحاً، فلا أعتقد أن الكوبرا هي الخطر الوحيد بتلك الغابة.

بدأ من جديد في اجتياز الأشجار و الأغصان في حذر باحثاً عن أي شيء يصنع منه سلاحاً، مرّت الساعات دون جدوي، حتي وقع بصره علي عدد من أشجار الخيزران، عرف لحظتها أنه وجد ضالته، ذهب تجاهها و كسر أحد الجذوع ثم غادر تلك المنطقة.

• لابد أن أبحث الآن عن شيء حاد أنحت به طرف ذلك الجذع
لأصنع منه نصلاً.

مرت الدقائق و هو يبحث و يبحث حتي وجد صخرة حادة و نحت بها
نصلاً في جذع الخيزران، صانعا منه رُمحاً حاداً، وبعد قليل بدأت الأمطار
في المطول بكثافة، مما زاد الأمر صعوبةً عليه.

إتجه إلي إحدي الأشجار و قطع ورقة كبيرة صانعاً منها إناءً مؤقتاً أمسكه
بيديه و إنتظر حتي تجمعت به مياه الأمطار و أخذ يرتوي منها.

• كاد الليل أن يحل، و يبدو أن الأمطار لن تهدأ الليلة، يجب أن
أختبئ حتي الصباح و بعدها أري ماذا سأفعل و كيف أغادر
تلك الغابة!

بدأ يجمع بعض الفواكه و بعض الصخور و فروع أشجار جافة لم تطاها
مياه الأمطار بعد، و بعد قليل كان قد وجد كهفاً اختبأ بداخله و أشعل
ناراً و تمدد بجانبها.

مرت الساعات عليه ثقيلة مابين خوف و ترقب و هو يرتعد برداً، حاول
أن يظل مستيقظاً قدر الإمكان حتي غالبه النعاس أخيراً.

كانت الشمس قد بدأت في إرسال أول خيوطها إلي تلك المنطقة حينما
إستيقظ يريد من نومه، نظر في شرود إلي خارج الكهف محاولاً أن يتذكر
ماذا أتى به الي هنا و لكن بلا فائدة.

• يجب أن أجد مصدراً للماء، لا يجب أن أعتمد علي الأمطار،
فرميا لا تاطر اليوم!

خرج من كهفه حاملاً في يديه رمحه سائراً بلا وجهة محددة بحثاً عن الماء، و
مرت الساعات تباعاً و مازال يسير في تلك الغابة يجتاز الأميال بحثاً عن
الماء و لكن بلا جدوي.

توقف مستنداً إلى إحدي الأشجار ليستريح من عناء سيره طيلة النهار.

• لقد ابتعدت كثيراً عن الكهف.. أين عساي أختبيء الآن؟ و لم
أجد الماء حتي.

توقف عن التفكير و أخذ يستمع الي ذلك الصوت الذي تهادي الي
مسامعه، إنه صوت ذلك الخريف المحبب الي النفس !

• الماء ! لابد أنه شلال أو شيء من هذا القبيل!

أخذ يركض تجاه ذلك الصوت ركضاً حثيثاً و ذلك الصوت يتعاضم في
أذنيه أكثر فأكثر، كان يشعر بإرتياح كبير و بدأ شبح إبتسامته في الظهور
علي ملامحه حينما سمع صوتاً آخر آتٍ من خلفه، لم يكن صوتاً محبباً إلي
النفس قط! كان صوت زجرة مرعب، مرعب إلي أقصي حد!

تسمر يزيد في مكانه متسارعة أنفاسه، ثم إستدار ببطء مواجهاً مصدر
الصوت.

كان فهدٌ أسود..من أحد أنواع الفهود الصيادة، يقف متحفزاً يكشر عن أنيابه في شراسة، عرف يزيد أن المواجهة قادمة لا محالة، ولم يفكر كثيراً، فقام برمي ذلك الرمح تجاه الفهد في قوة و لكن الفهد كان أسرع منه بمراحل فقفز جانباً متفادياً الرمح في رشاقة خارقة، ثُمَّ زجر ثانياً و إنطلق!

إنطلق ناحية يزيد الذي ما إن رآي الرمح يخطيء هدفه حتي ركض بأقصى ما عنده من سرعه، كان يعرف أنه يركض في سباق خاسر وعاجلاً أو آجلاً سيفتك به هذا الفهد و يمزقه شر ممزق، لذلك كان يركض باتجاه شيء محدد، ظل يجري و يقفز و يتعثر حتي وصل إلي وجهته، إلي حافة تلك الغابة، كان جُرف عالٍ يطل علي النهر من إرتفاع شاهق، تحيط به عدد من الشلالات.

توقف و من خلفه توقف ذلك الفهد مستعداً للهجوم الأخير.

نقل يزيد بصره بين الفهد و بين النهر في تردد، و لكن الفهد لم يعطه الفرصة ليتردد فبدأ في الركض تجاهه من جديد ما جعل يزيد يركض لا إرادياً ناحية الجرف و قفز! قفز من ذلك الارتفاع الشاهق الي النهر!

و مرّت لحظات حتي وصل إلي الهاوية، إلي سطح ذلك النهر، وحدث الارتطام !

إستفاق يزيد علي صوت تلك الصفارة تبعها ذلك الصوت الأنثوي يتحدث بطريقة آليه لطيفة :

• مرحباً بعودتكم ! نرجوا أن تكونوا قد إستمتعتم بالتجربة وحصلتم علي أكبر قدر ممكن من المرح! أنتم في المحاكي رقم ٤ لتجربة الأمازون ! شكراً لكم.

• لا لا ! ليس مجدداً كيف !

قالها يزيد غاضباً و هو ينزع تلك المجسات عنه مصدرةً ذلك الأزيز المميز،
ثُمَّ نهض مغادراً السرير حينما دلفت إلي الغرفة الدكتوراة كارلا.

• إهدأ، لقد...

• أهذا! لقد مت مجدداً ! كيف يمكن أن تشرحي ذلك ؟!

• ببساطة أنت انتحرت مجدداً دون أن تقصد!

• كيف!

• أولاً, لقد قفزت من ارتفاع شاهق للغاية!

قاطعها يزيد في اصرار :

• في الماء، قفزت في الماء !

• تقنياً ليس هذا ما حدث، صحيح أنك قفزت في الماء، ولكنك سقطت فوق صخورٍ حادة، تقع مباشرةً تحت سطح الماء.

• اللعنة ! وكيف لي أن أعرف!

- يزيد أنت ذكي كفاية لتعرف أين تسقط، كان يجب عليك أن تترك مسافة كافية بينك و بين حافة ذلك الجرف و لكنك إخترت أن تسقط تحته مباشرة و كأنك ترسل نفسك للموت !
- و لكن أنا...

<<دكتورة كارلا>>

قاطعهما ذلك الصوت الآتٍ من خلف الدكتورة كارلا، إستدارت لتجده فاريل

- آه، دكتور فاريل..ماذا هنالك ؟
- قالتها و هي تقترب منه، فردَّ عليها فاريل هامساً :
- فكرتُ أن أدعوك للغداء اليوم.
- مم، لدي الكثير من الأعمال ولا أعتقد أنني...
- إذاً فليكن عشاءاً، ما رأيك ؟
- ضحكت في رقة قائلةً :
- حسناً، فليكن.
- رائع، سوف أقلك من البيت في الثامنة، هل يناسبك ذلك ؟
- نعم، ممتاز!

• حسناً، ألقاك لاحقاً.

• وداعاً

قالتها و إستدارت متجهةً ليزيد الذي كان يسترق السمع لتلك المحادثة.

تنحنحت قائلةً له :

• يجب عليك أن تستريح، لا تجارب أخرى لبقية اليوم!

• لا، أريد خوض تجربةً أخرى.

• لماذا تعشق تعذيب نفسك ! جميع من يأتوا هنا يخوضون تجربة واحدة ربما كل شهر أو أسبوع بالكثير! وأنت تخوض تجربتين و ثلاث كل يوم!

• هنا أجد متعتي!

• في العذاب؟!

• ربما!

• و أية تجربة تريد خوضها الآن؟

• ستعرفين بعد قليل..هيا بنا إلي غرفة أخرى..

في غرفة أخرى مشابهة تماماً للغرفة السابقة، تمدد يزيد علي ذلك السرير،

متصلاً بتلك الأجهزة عن طريق المجسات الملامسة لجسده، ضغطت كارلا عدداً من الأزرار ثُمَّ نظرت له قائلةً :

• حسنأ، إستعد، و أرجوك، حاول أن تخرج سليماً من تلك التجربة.

• وكيف لي أن أتذكر نصائحك !

• يجب أن تتذكر ذلك في اللاوعي، حاول!

قالتا كارلا ثُمَّ ضغطت أحد الأزرار و غادرت الغرفة.

انطفأت كل أنوار الغرفة ثُمَّ إنطلقت صفارة إستعداد تبعها ذلك الصوت الأنثوي الآلي من جديد:

• إتباه، أنت علي وشك القيام بتجربة جديدة، و القواعد كما هي، يجب علي المشارك الصمود لأطول وقت ممكن، ليس لديك سلاح، غذاء أو دواء ! ستضطر للبحث عنهم أو تصنيعهم داخل التجربة، لا يوجد طريقة للخروج من التجربة سوي بإنهاءها بنجاح أو بالموت ! شكراً علي إستماعكم للإرشادات! نرجوا أن تستمتعوا بالتجربة و تحصلوا علي أكبر قدر ممكن من المرح ! أنتم في المحاكى رقم ٢ لتجربة الغرباء! سيبدأ الآن العد التنازلي لبدء التجربة. ١٠..٩..٨..٧..٦..٥..٤..٣..٢..١.....إنطلاق !...

فتح يزيد عينيه في بطاء ليجد نفساً مستلقياً علي مقعدٍ وثير أمامه تلفاز

إرساله يغالبه التشويش، ثُمَّ ظهر ذلك المُراسل علي الشاشة.

• يبدو أن أجزاءً كبيرة من المدينة قد دُمرت بالكامل، و لا أحد يعرف متى سوف تصل قوات الجيش بالتحديد! يذكر أن الهجوم قد حدث منذ ساعة ونصف، و يبدو أن ذلك الهجوم قد تمَّ علي العالم بأكمله، و تقدر الخسائر الأولية حتي الآن بعشرين مليون شخص! و لكننا لا نعرف الأعداد بالتحديد لأن كل وسائل الاتصالات انقطعت و لم يتبق لنا إلا...

أصابته حزمة حمراء من الليزر حولته في أقل من لحظة الي حفنة من الرماد، فلم يستطع ذلك المسكين إكمال جملته..ثم سقطت تلك الكاميرا أرضاً وسط أصوات صراخ بشرية و أصوات أخرى غير بشرية!

توقف الإرسال و ظهرت علي الشاشة تلك الخلفية المعهودة ذات السبع ألوان تتوسطها جملة ” لا إشارة“.

نظر يزيد إلي التلفاز في ذهول، ثُمَّ نهض متلفتاً حوله.

كان المنزل مظلاً تماماً فيما عدا ذلك الوجه الذي يأتي من الطابق الثاني.

• هل من أحدٍ بالمنزل؟!

تحرك بحذرٍ مستقلاً ذلك السلم صاعداً إلي الطابق العلوي، إتجه في هدوء إلي تلك الغرفة التي يأتي منها الوجه، فتح بابها في ببطء شديد، و لكنه وجد الوجه آتياً من تلفاز مفتوح في ركنٍ من أركان الغرفة.

تنفس الصعداء ثُمَّ بدأ البحث في جميع الغرف و لكنه لم يجد أحداً قطّ.
كان قد وصل إلي المطبخ حينما سمع ذلك الصراخ الأنثوي يأتي من الخارج،
إستقل السلم الخارجي للمطبخ و عبر الطريق راكضاً إلي البيت المقابل و
هو مازال يسمع ذلك الصراخ!

وصل إلي باب المنزل و أخذ يدقّ علي الباب بقوة، لم ينتظر كثيراً ليفكر،
رجع الي الورا خطوتين ثُمَّ إنطلق ناحية الباب بكتفه!

إنفتح الباب علي أثر تلك الضربة.. تلفت حوله فلم يجد أحداً..

سمع صوتاً يأتي من الطابق العلوي فإستقلّ الدرج مسرعاً إلي مصدر
الصوت، إتجه إلي الغرفة التي يأتي منها الصوت فوجد امرأة تجلس علي
الأرض محتضنة طفلاً صغيراً في رعب، إنتبهت إلي وجود يزيد فبكت
قائلة:

- لقد أخذه!
- من؟ أخذوا من؟
- زوجي، أخذوا زوجي!
- ثُمَّ إنهارت في البكاء، فإقترب منها يزيد و جثا علي ركبتيه بجانبها
- سيدتي إهدي من فضلك، من أخذه؟

نظرت له بكل رعب الدنيا مشيرة بيدها إلى النافذة :

• الغرباء..

بعد قليل كانا يجلسان في المطبخ بالطابق السفلي، كان يزيد يحاول تهدئة السيدة، فصَبَّ لها كوباً من الماء و أعطاه لها.

• ما إسمك ؟

• ناتالي، و أنت ؟

• يزيد، و هذا إبنك ؟ صحيح ؟

• نعم..إسمه كريس.

إبتسم يزيد ناظراً إلى الطفل الذي كان يجلس بجانب أمه يمسك بيديه مسدس لعبة ثُمَّ إستطرد قائلاً:

• و الآن..اهديني و أخبريني ماذا حدث بالضبط.

• لا أدري، فالأمر حدث بسرعة، كنا نجلس مختبئين في الغرفة بعد أن عرفنا ما حدث من هجوم علي الأرض، ثم، ثم انتشر ذلك الضوء الساطع في الغرفة بأكملها و رأيت زوجي يطير في الهواء مسحوباً خارج النافذة، ثُمَّ إختفي الضوء.

سألها يزيد في جدية :

- هجوم علي الأرض ؟ ماذا تعنين ؟
- ألا تعرف ! الغرباء!
- بدت علي يزيد الحيرة فإستطردت ناتالي قائلة :
- الغرباء، الفضائيون، أصحاب الأطباق الطائرة !
- ثُمَّ أشارت بيدها إلي السماء ..
- يا إلهي! مستحيل !..
- لقد حدث الهجوم منذُ ساعتين تقريبا، هل كنت نائماً أم ماذا؟
- شيء من هذا القبيل، لقد إستيقظت لأجد نفسي في البيت المجاور لكم ولا أتذكر إلا إسمي.
- هذا شيء غريب!
- ألا تتذكرين رؤيتي في الحى ؟!
- لا للأسف قد إنتقلنا إلي هنا بالأمس فقط، ثُمَّ أن...
- صه ..أستمعين ذلك الصوت ! لم أسمع مثله من قبل!
- يا إلهي، لقد عادوا ! إنه صوت مركباتهم الفضائية!
- فلنختبيء، إطفئي كل الأنوار، لكي لا تجتذبهم إلي هنا!
- حسناً

أطفئاً يزيد و ناتالي جميع أضواء المنزل تُمَّ قَبِعا في ركن من أركان المطبخ خلف طاولة كبيرة في ترقب.

شعر يزيد بشيء يقترب من نافذة المطبخ فhez رأسه مشيراً إلى ناتالي في صمت ناحية النافذة.

بلعت ناتالي ريقها في صعوبة محتضنةً إبنها في قوة و كتمت أنفاسها. إقترب ذلك الصوت أكثر فأكثر من النافذة ثم سطع فجأة وهج شديد يعمي الأبصار.

مال يزيد علي أذن ناتالي هامساً :

• لا تخافي، إنهم يقومون ببحثٍ عشوائي علي الأرجح، طالما نحن صامتون فلا تقلقي، سوف يغادرون بعد لحظ....

• ضوء !!! ماما !!! ضوء !!

قلها كريس صائحاً في سرور.

نظر يزيد الي ناتالي في رعب :

• يا إلهي !لقد كشفوا أمرنا ! يجب أن نتحرك !

نهض يزيد ممسكاً بيد ناتالي التي تحمل كريس بين يديها ..

• ناتالي !هيا !

قلها يزيد في قوة ناظراً الي ناتالي التي تجمدت في مكانها كتمثال محدقة في رعب إلي شيء خلف يزيد، بلع يزيد ريقه ناظراً لها في إستسلام.

• إنه ورأيي، أليس كذلك ؟

هزت ناتالي رأسها بالإيجاب، فإستدار يزيد في بطاء مواجهاً ما يقبع خلفه , وقع بصره علي شيء من أقبح و أبشع ما رأي !

كان كائناً هزيراً يمتلك هيكلأ يشبه العقارب في ملمسه، يقف علي قدمين رفيعتين، وله ذراعين طويلتين تنتهيان، بيدين بكلٍ منهما ثلاثة أصابع، رأسه بيضاوية الشكل مسحوبة للوراء، تتوسطهما عينان تنتشجان بالسواد ، يسيل من بين أشداقه ذلك اللعاب المقزز، كان يصدر أصواتاً بشعة مقترباً من يزيد.

رجع يزيد الي الوراء خطوات، متلفتاً حوله، يحاول البحث عن أي سلاح، وقع بصره علي سكينٍ بجانبه علي الطاولة، فتناوله و إنقض علي الكائن، و لكن الأخير أطاح به جانباً في قوة و أكمل سيره ناحية ناتالي و ابنها.

اقترب ذلك الكائن منهما و فتح فكه متأهباً للفتك بهما، أغلقت ناتالي عينيها و إحتضنت كريس في قوة، حينما سمعت ذلك الكائن يتأوه و يصرخ بشدة في مزيج من الفحيح و الزمجرة !

فتحت عينيها لتجد ذلك الكائن يمسك وجهه في ألم و ابنها يضغط زناد

مسدسه مرة بعد مرة و هو يضحك في براءة لا متناهية !

• الماء !!!..إنهم يتأثرون بالماء !

قلها يزيد و هو ينهض من سقطته، ثُمَّ إتجه مسرعاً إلي الثلاجة و إلتقط زجاجة مياه فتحها في سرعه ثُمَّ ضغطها بإتجاه الكائن الذي أخذ يتلوي في ألم و تتساقط أجزاء من جسده ذائبة و كأن للماء عليه نفس تأثير الحمض علي البشر !

أخذ ذلك الكائن يترنخ و يتخبط في ألم حتي سقط جثّة هامدة تماماً علي الأرض.

إقترب من المنزل المزيد من تلك الأصوات المشابهة لصوت الكائن ..فصرخ يزيد في ناتالي قائلاً :

• هيا ..إملئي زجاجات مياه بقدر ما تستطيعين و إجمعي بعض الطعام المعب و لنهرب من هنا !

• إلي أين !

• إلي أقرب بحرٍ، نهرٍ، أو حتي بحيرة !!

• هناك ميناء علي بعد مئتي ياردة تقريباً من هنا!

• هذا جيد. هيا بنا !

بعد ملء الكثير من زجاجات المياه، إنطلق ثلاثتهم مغادرين المنزل.

• ناتالي ..هل لديك سيارة ؟

• نعم ..هاهي !

أشارت الي سيارة حمراء رياضيه متجههً إليها، تبعها يزيد و عبثا السيارة بزجاجات المياه ثم انطلقا.

بعد خمس دقائق قابلتهما إحدى مدرعات الجيش فاستوقفاها و غادر يزيد السيارة متجهاً الي قائدها.

• إنتظر إنتظر !

كان يتحدث بأنفاس متقطعة ..ثم إستطرد قائلاً :

• إنهم يتأثرون بالماء، يذوبون، يتأكلون منه كأنه حمض! عليكم بالماء، و ستجهزون علي أولئك الملاحين!

• هل أنت متأكد ؟

قالها ذلك الضابط ممسكاً بهاتفٍ لاسلكي.

• لقد قتلنا واحداً منهم للتو بمسدس مياه !

• شكراً لك ..”إلي جميع الوحدات ..جاءتنا الآن معلومات أن

تلك الكائنات تهلك عن طريق الماء، الماء هو الحل الوحيد لقتلهم، عليكم بتجهيز سيارات المطافيء حالياً، إلي جميع الوحدات ..جاءتنا الآن...”

تركه يزيد عائداً إلى السيارة، و إستقلها مبتسماً لنا تالي ثمَّ إنطلق بالسيارة مجدداً، وبعد دقائق كنا قد وصلا إلى ذلك الميناء الذي خلا تماماً من البشر و من تلك الكائنات أيضاً.

- إنتظري في السيارة أنتِ و كريس و خذا حذركا، سأبحث لنا عن زورقٍ سريع أو قارب لكي نهرب من هنا.
- حسناً، خذ حذرك.

مرت دقائق حتي ظهر يزيد يركض من بعيد علي وجهه علامات السرور.

- هيا، لقد وجدت قارباً فارهاً، به الكثير من المأكولات و المشروبات، و الكثير من الوقود أيضاً !!

اتجه ثلاثتهم الي القارب و انطلقوا في سرعة في عرض البحر، و في الأفق البعيد تتساقط أمامهم الأطباق الطائرة أرضاً في إنهمزام محدثة انفجارات هائلة!

- أنظري ماما، ألعاب نارية !

قالها كريس في براءة لا متناهية ...

فتح يزيد عينيه في بطاء مبتسما، و لكن سرعان ما تلاشت إبتسامته حينما وجد نفسه في غرفة غير التي كان بها لحظة دخوله التجربة، كانت غرفة بيضاء صغيرة، خاليه من أي شيء، فقط السرير الذي كان راقداً عليه، حاول النهوض فلم يستطع، وجد جسده مقيداً إلي السرير في إحكام، رسخيه، قدميه، جزعه، وحتى رأسه، كان جسده مقيداً بالكامل !

أخذ يصرخ غاضباً :

• أين أنا ! كيف تفعلون هذا بي ! أنا عميل مميز لديكم ! دكتورة كارلا ! ..كارلا !!! إجعلهم يحلوا وثاقي !! دكتورة كارلا ! أين أنت؟! لقد أنهيتُ التجربة بنجاح، لم أمت دكتورة كارلا، لقد عشتُ، بل أنقذت معي سيدة و طفلها أيضاً، بل أنقذت العالم بأسره !

مزيد من الصراخ و المزيد من النداءات التي لم يرد عليها أحد، لم يسمع إلا تردد صدهاء في الغرفة !

بعد دقائق، إنفتح الباب في هدوء و دلف شخص يبدو في الخمسينيات من عمره، قصير الشعر أشبيه، يرتدي عوينات طبية، يحمل في يديه مقعداً خشبياً و ملفاً له غلاف أزرق.

دلف الي الغرفة و أغلق الباب خلفه، وضع المقعد في مواجهة السرير و جلس عليه.

• كيف حالك د.يزيد ؟

- دكتور؟ أين أنا !
- ألا تتذكر؟
- أتذكر ماذا؟ أهذه تجربة أخرى؟
- ممم .. كما توقعت ..
- قلها ذلك الشخص مغمماً في إحباط.
- قل لي ماذا يحدث !
- قلها يزيد و هو يحاول أن يتملص من قيوده بلا فائدة ..
- حسناً، إهدأ و سأخبرك كل شيء !
- لن أهدأ قبل أن تحل وثاقي !
- آسف، لا أستطيع، و لكن أعدك أن أحل وثاقتك بعد أن أخبرك بما تريد أن تعرفه.
- زمجر يزيد في غضب ثمَّ هداً قائلاً :
- حسناً .. أخبرني .. أين أنا .. و ما قصة دكتور تلك !؟
- أنت الدكتور يزيد الخولي، من أكبر مؤلفي قصص الخيال العلمي و لديك دكتوراه في علم الأساطير، كنت ناجحاً جداً في عملك، و لديك الكثير من الكتب و المؤلفات التي تمت ترجمتها الي مختلف لغات

العالم وحازت علي إعجاب الملايين وحصدت الكثير من الجوائز،
و تحول معظمها الي أفلام و مسلسلات في معظم دول العالم.
منذ سبع سنوات ..كنت عائداً الي بيتك من عملك في
الجامعة، ناديت علي زوجتك فلم ترد..إتجهت إلي غرفة النوم
فوجدتها ممددة علي السرير وأخيك جالس بجانبها، إستشطت
غضباً، وأخرجت ذلك المسدس من جيب سترتك، و أفرغت
ما به من طلقات في جسديهما، ليلقيا مصرعيهما في الحال،
بعد ذلك جاءت والدتك تركض إلي الغرفة، كاد أن يُغمي
عليها و سقطت علي الأرض جالسة ما بين اللطم و الصراخ.
عرفت منها بعد ذلك أن زوجتك قد إستدعتها هي
وأخيك لكي ينظموا احتفالاً بعيد ميلادك الثلاثين.
وعندما كانت تفتح الباب لهما سقطت مغشياً عليها، ونقلها الي
الغرفة ثم ذهبت والدتك لتجلب لها كوباً من الماء، و جئت أنت
بعد ذلك و فعلت ما فعلت.تمّ الحكم عليك بعد ذلك بالسجن
خمس عشرة عاماً، لم تتحمل تائب ضميرك علي ما فعلت و حدث
لك إنهميار عصبي، خاصةً بعد علمك أن زوجتك كانت حاملاً
في شهرها الثالث، بعد أن كانت عاقراً لثمان سنوات كاملة!، بعد
إنهميارك تمّ نقلك إلي هنا، مستشفى الأمراض النفسية و العصبية،
و للأسف لأنك شخص حاد الذكاء و تتمتع بخيال خصب للغاية
فقد تطور ذلك الإنهميار العصبي لديك إلي فصامٍ حاد جعلك

تخيل الكثير من الأشياء غير الحقيقية، و منذ أن جئت إلى هنا و أنت تعيش داخل مخيلتك في قصة كالتى تكتبها لقرائك. اخترعت عالماً وهمي بالكامل و تعايشت فيه، و دفنت نفسك بداخله، محاولاً أن تنسى فعلتك التى تخجل منها. تخيلت أنك في زمن غير زمننا، في العام ٢٠٥٠، محاولاً أن تبتعد بالزمن عن وقتنا الحالى، و لكن ضميرك لم يشأ أن يتركك تستريح حتى في خيالك، فبني لك شيئاً تقوم من خلاله بتعذيب نفسك مراراً و تكراراً كأسطورة سيسيفوس أو سيزيف، و شئد لك صرحاً لذلك بالإعتماد علي خيالك تحت ما يسمى ب "سوق عذاب البشر"، و هي تلك الشركة التى تجعلك تخوض تجارب مؤلمة و رهيبية تحت مسمى المرح ! د.يزيد، لقد جلدت ذاتك نفسياً و عقلياً بمازوخية شديدة.. و لم ترحمها يوماً واحداً، حتى حينما كنت تخوض تلك التجارب، كنت تنهياً دائماً بالإنتحار لقناعتك إنك لا تستحق الحياة لما فعلته، دائماً ما كنت تحكم علي نفسك بالإعدام ! و لكنك اليوم بعد عشرات التجارب في خيالك، قررت ألا تمت، قررت أن تعيش!! تغلبت أخيراً علي ذلك الاحساس بالذنب، استمعت أخيراً الي نصائح الدكتور كارلا، أتعرف من هي الدكتورة كارلا يا د.يزيد؟

أجابه يزيد و الدموع تتساقط من عينيه :

• من، من هي ؟

• إنها إسقاط لآويعك لصورة زوجتك (كارما)، تحاول أن تخفف عنك ذلك العبء الثقيل، ذلك الإحساس بالذنب. و لكن المشكلة أن وساوسك أيضاً كانت حاضرة فخلّقت شخصية دكتور فاريل و أنشأت بينه و بين كارلا تلك العلاقة، لتجعلك عالقاً في ذلك العالم الخيالي للأبد، عبداً لشكوكك، د.فاريل لم يكن هو الآخر إلا صورة لإسقاط لآويعك لأخيك فريد! لقد شيدت داخل عقلك عالماً شديداً التعقيد، واختبأت بداخله، حتي أن أغلب من اخترعته من شخصيات كانوا شخصيات أجنبية. أمريكيين ..إنجليز ..فرنسيين و غيرهم، و كُنت تتكلم معهم بلغاتهم، ساعدك في ذلك بالطبع اتقانك لسبع لغات حية و قدرتك علي التحدث بها بطلاقة! فعلت ذلك لتبتعد عن الواقع، و رغبتك في أن تعيش مع أشخاص غير الذين عرفتهم طيلة حياتك، بالضبط كمن يهاجر إلي بلدٍ أخرى لكي يبتعد عن كل مكان يعرفه وعن كل الذكريات المرتبطة بتلك الأماكن، سبع سنوات كاملة، يوماً بعد يوم و أنت تنتحر ذهنياً، و لكن اليوم ..اليوم بالتحديد اخترت أن تعيش، و يسعدني أن أهنئك أنك استجبت أخيراً للعلاج، و إنك تقريباً قد تخلصت من ذلك الفصام و تلك الخيالات التي تعيش بداخلها.. سأضعك تحت الملاحظة لمدة شهر، ثُمَّ سنقرر ماذا نفعل بعدها، إذأ بقيت علي تلك الحال فسوف تخرج و لكن بالطبع بعد أن تقرر المحكمة هل ستكمل مدّتك في السجن أم بالخارج تحت

المراقبة، و الآن سأفك وثاقل كما وعدتك.

نهض الطبيب و أخذ في حل وثاق يزيد الذي سأله باكياً :

• هل يمكن أن أري صورة زوجتي و أخي، و أريد أن أري أمي،
لازالت حية؟ أليس كذلك ؟

• هذا الملف به كل شيء عنك و عن حالتك، ستجد به صور
زوجتك و أخيك، و سأتصل بوالدتك لتأتي، سوف تطير فرحاً
عندما أخبرها عن تحسنك! و ها أنا قد حللت وثاقلك، سأغادر
الآن لأخبرهم بتحضير غرفة أخرى لك غير هذه و سأعود بعد
قليل، اه نسيت ..أنا الدكتور كريم الشناوي.

قالها مبتسماً ثم ربت علي كتف يزيد و غادر الغرفة.

نهض يزيد جالساً علي السرير ممسكاً بذلك الملف بين يديه

• إنه يشبه ذلك الملف الذي كانت تحتضنه كارلا دائماً!

فتح الملف و هو يمسح تلك الدموع التي سالت من عينيه.

كان يقرأ تشخيص حالته و تطورها يوماً بعد يوم، ثم وجد صورتين، صورة
زوجته و صورة أخيه ، كارما و فريد.

• إنهما يشبهان كارلا و فاريل! يا الهي، ما الذي فعلته،كيف!كيف !

أغلق الملف و أمسك بالصورتين منهاراً في البكاء ..

ظلّ علي تلك الحالة لساعة كاملة، ثم توقف فجأة عن البكاء!

وضع الملف علي المقعد و وضع الصورتين مقلوبتين أعلاه، ثم تمدد علي السرير في وضع النوم، أغمض عينيه و إبتسم.

إنطلقت في أذنيه صفارة إستعداد تبعها ذلك الصوت الأنثوي الآلي
المألوف من جديد:

- إنتباه، أنت علي وشك القيام بتجربة جديدة ! و القواعد كما هي يجب علي المشارك الصمود لأطول وقت ممكن، ليس لديك سلاح، غذاء أو دواء! ستضطر للبحث عنهم أو تصنيعهم داخل التجربة! لا يوجد طريقة للخروج من التجربة سوي بانهاؤها بنجاح أو بالموت ! شكراً علي إستماعكم للإرشادات! نرجوا أن تستمتعوا بالتجربة و تحصلوا علي أكبر قدر ممكن من المرح ! أنتم في المحاكى رقم ٩ لتجربة مصاصي الدماء! سيبدأ الآن العد التنازلي لبدء التجربة ..
١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠.....إنطلاق ...!

*يمكنك الاستماع إلى بعض المقطوعات الموسيقية و أنت تقرأ الكتاب
مثل :

La Foule-Edith Piaf -١

Fly Me To The Moon-Frank Sinatra-٢

Just In Time-Nina Simone -٣

Milonga Del Ángel-Astor Piazzolla-٤

La Vie En Rose-Louis Armstrong-٥

Nat King Cole-Unforgettable-٦

Can't Smile Without You-Barry Manilow-٧

٨-فيروز- عندي ثقة فيك

٩-وحدة- دينا الوديدي

١٠-إنت عمري- أم كلثوم

فهرس

٣٣	حكايات ينائر
٩٩	رسائل إلى الجنة
١٢٣	إشارة مرور
١٣١	سكارلت
٢١١	صندوق زجاج
٢١٧	سوق عذاب البشر
٢٦٦	فهرس

عمر كمال الدين
سكارت

رقم الايداع / ٥٧٢٨ / ٢٠١٤ ط١

التزقيم الدولي / ٦ - ٦٩ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

